

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَفِيْرَةُ الْحُسَيْنِ عليه السلام



**هوية الكتاب**


**عنوان الكتاب: سفيرة الحسين عليهما السلام.**

**المؤلف: الشيخ رائد الحيدري.**

**الناشر: العتبة الحسينية المقدسة.**

**المطبعة: دار الوارث.**

**عدد النسخ: ٥٠٠.**

**سنة الطبع: ٢٠٢٣م - ١٤٤٤ هـ.**

**الطبعة: الأولى.**

**رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق وزارة الثقافة العراقية لسنة ٢٠٢٢ - ١٧٣٥**

---

الحيدري، رائد جاسم محمد، ١٩٧٤- ، مؤلف.

سفيرة الحسين عليهما السلام / تأليف الشيخ رائد الحيدري. - الطبعة الأولى.- كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية، ٢٠٢٣ / ١٤٤٤ للهجرة.

١٧١ صفحة ؛ ٢١ سم. - (العتبة الحسينية المقدسة ؛ ١٠٣٣)، (قسم الشؤون الفكرية والثقافية ؛ ٢٩٧)، (شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية ؛ ٢٢٠).

يتضمن هوامش، لائحة المصادر (الصفحات ١٥٧-١٦٨).

١. السيدة زينب، زينب بنت علي (سلام الله عليها) توفيت ٦٢ للهجرة. ٢. النساء المقدسات في الإسلام - تراجم. أ. العنوان.

**BP80.Z3 H3 2022**

---

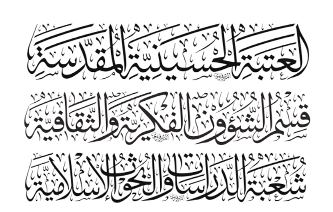
**تمت الفهرسة قبل النشر**

**في شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الشؤون الفكرية في العتبة الحسينية**



# سَفِيْرَةُ الْحُسَيْنِ عليهما السلام

الشيخ رائد الحيدري








قسم الشؤون الفكرية والثقافية




وحدة الدراسات التخصصية
في الإمام الحسين عليه السلام

طُبِعَ برعاية العتبة الحسينية المقدسة – قسم الشؤون الفكرية والثقافية
الطبعة الأولى – ١٤٤٤هـ / ٢٠٢٣م

العراق: كربلاء المقدسة – هاتف ٣٢٦٤٩٩
الهاتف: ٠٠٩٦٤ ٣٢ ٣٢٦٤٩٩ ٠٠٩٦٤ ٧٤٣٥٠٠٠٢٤٢

www.imamhussain-lib.com
E-mail:info@imamhussain-lib.com

## المقدمة

اَلْحَمْدُ للهِ الأَوَّلِ بِلا أَوَّلٍ كانَ قَبْلَهُ، وَالآخِرِ بِلا آخِرٍ يَكُونُ بَعْدَهُ، الَّذي قَصُرَتْ عَنْ رُؤْيَتِهِ أَبْصارُ النّاظِرينَ، وَعَجَزَتْ عَنْ نَعْتِهِ أَوْهامُ الْواصِفينَ.

وَالْحَمْدُ للهِ الَّذي مَنَّ عَلَيْنا بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ صلَّى الله عليه وآلِه دُونَ الأُمَمِ الْماضِيَةِ وَالْقُرُونِ السّالِفَةِ، بِقُدْرَتِهِ الَّتي لا تَعْجِزُ عَنْ شَيْءٍ وَإِنْ عَظُمَ، وَلا يَفُوتُها شَيْءٌ وَإِنْ لَطُفَ، اَللّهُمَّ فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ أَمينِكَ عَلى وَحْيِكَ، وَنَجيبِكَ مِنْ خَلْقِكَ، وَصَفِيِّكَ مِنْ عِبادِكَ، وإِمامِ الرَّحْمَةِ، وَقائِدِ الْخَيْرِ، وَمِفْتاحِ الْبَرَكَةِ وَعَلى آلِ بيتِهِ الطَيبينَ الطاهرينَ.

إنَّ النهج الحسيني الشامخ بشموخ شخص الإمام كان متأصلاً في نفوس آل بيته (عليهم السَّلام)، فلم تكن تلك الأدوار الحسينية التي جسدها الإمام السجاد وعمته العقيلة زينب عليهما السَّلام إلَّا جزءاً من ذلك النضال المحمَّدي الأصيل الذي كان متجسداً في شخصية الإمام الحسين عليه السلام.

لذا فقد وقفت السيدة زينب عليها السَّلام يوم أغمد الحسين عليه السلام سيفه لتنتضي حسام الكلمة، ولتبشر بقيم الحسين عليه السلام ومبادئه التي استطاعت بفضل صبرها وصمودها أن ترسخها وجوداً حياً في ضمير الأُمَّة الإسلامية، بعد جهاد ونضال منقطعي النظير.

لقد كان هدف السُّلطة الأُموية من التشهير بسبايا أهل البيت (عليهم السَّلام) إرعاب الناس لكي لا يفكّر أحد في معارضة السُّلطة أَوَّلاً، وتعبئة الجمهور ضدَّ الإمام الحسين عليه السلام وثورته ثانياً، بإظهاره خارجياً متمرداً قد شقَّ عصا المسلمين طمعاً في السُّلطة والحكم.

لكنَّ وجود العارفين بفضل أهل البيت عليهم السَّلام في الأُمَّة، والحالة المأساوية للسبايا والتي كانت تثير مشاعر التعاطف معهم، والدور الرسالي الذي قامت به السيدة

زينب عليها السَّلام في الإعلام الصادق للثورة الحسينية، وكذلك الإمام زين العابدين عليه السلام وبعض نساء العائلة الحسينية كأُمِّ كلثوم وفاطمة بنت الحسين عليهم السَّلام.

كلُّ ذلك أفشل مخطط السُّلطة، بل وجعل آثاره ونتائجه معكوسة، حيث تأجّجت روح الثورة والرفض في أوساط الجماهير المسلمة ضدَّ السُّلطة، وتعاطف الناس مع أهل البيت عليهم السَّلام.

وما أحوجنا اليوم لهذه الروح المثابرة في بيان الحقِّ والدفاع عن أهله، فنحن عندما نتصفّح حياة هذه السَّيدة العظيمة، فإنَّنا نستلهم الدروس والعبر في ضرورة الدفاع عن المبادئ مهما كلَّفنا هذا الأَمر، والشجاعة في مواجهة طواغيت العصر والتوكل على الله تعالى، وأن لا تأخذنا فيه لومة لائم، وأنْ نكون أُناساً رساليين همنا هو نشر الرسالة المحمدية الأصيلة والحفاظ عليها طاهرة نقية كما جاء بها سيد الرسل صلَّى الله عليه وآله، من خلال بث تعاليم أهل بيت النبوة (عليهم السَّلام)، الذين أمرنا الله تعالى باتباعهم وجعلهم عِدل كتابه العزيز على لسان نبيِّه الكريم صلَّى الله عليه وآله، حيث قال: «**إنِّي تارك فيكم ما إنْ تمسّكتم به لنْ تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرّقا حتى يردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما**»[1].

فلتفتخر النساء بمثل هذه المرأة، التي لم يرتقِ إلى قدرها كثير من الرجال، فسلام عليها يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حية.

---

(١) حديث الثقلين ممَّا اتفق على صحته الفريقان وقد ذكرت له عشرات المصادر مثل مستدرك الوسائل: ج١٨، ص١٤٤. الإمامة والتبصرة من الحيرة: ص١٤٩. كمال الدين: ص٦٣، وغيرها كثير، ومن مصادر العامة: صحيح الترمذي: ج٥، ص٦٢١. مسند أحمد: ج٥، ص١٨١. صحيح مسلم: ج٧، ص١٢٢، وغيرها.

# التمهيد

## أَوَّلاً: سيرة النور

في غضون السنة السادسة من الهجرة استقبل البيت العلوي الفاطمي الطاهر بكلِّ فرح وسرور، وغبطة وحبور الطفل الثالث من أطفالهم، وهي البنت الأُولى للإمام أمير المؤمنين والسيدة فاطمة الزهراء عليهما السَّلام.

ففي اليوم الخامس من شهر جمادى الأُولى ولدت السيدة زينب عليها السلام[١]، وفتحت عينيها في وجه الحياة، في دار يشرف عليها ثلاثة هم أطهر خلق الله تعالى: محمَّد رسول الله، وعلٌّي أمير المؤمنين، وفاطمة سيدة نساء العالمين، صلَّى الله عليهم أجمعين.

## ثانياً: ولادة السيدة زينب عليها السَّلام

ولَّما ولدت السَّيدة زينب عليها السَّلام أُخبر النبيُّ الكريم صلَّى الله عليه وآله بذلك، فأتى منزل ابنته فاطمة عليها السَّلام، وقال: («**يا بنية إيتيني ببنتك المولودة**».

فلمَّا أحضرتها أخذها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وضمَّها إلى صدره الشريف، ووضع خده على خدها، فبكى بكاءً شديداً عالياً، وسالت دموعه على خديه.

فقالت فاطمة عليها السَّلام: «**ممَ بكاؤك، لا أبكى الله عينك يا أبتاه**»؟ فقال: «**يا بنتاه**

(١) زينب الكبرى، للعلامة الشيخ جعفر النقدي (ت١٣٧٠هـ): ص١٧، باب اسمها وتاريخ ولادتها.

**يا فاطمة، إنَّ هذه البنت ستبلى ببلايا وترد عليها مصائب شتى، ورزايا أدهى، يا بضعتي وقرة عيني، إنَّ من بكى عليها، وعلى مصائبها يكون ثوابه كثواب من بكى على أخويها»**، ثمَّ سماها زينب)(١).

اتسمت السَّيدة زينب عليها السَّلام بصفات كماليَّة كثيرة، كان لأبيها وأُمِّها عليهما السَّلام الدور الأكبر في كسبها إياها، فقد تربَّت في ذلك البيت العلوي الطاهر المتفرد بخلقه المثالي الرفيع، فكان لأبيها عليه السلام دور بارز في التأثير في شخصيتها التي تأصّلت فيها مجموعة من القيم والسلوكيات الوراثيَّة والذاتيَّة، فكان للدور التربوي على يد أبيها عليه السلام أثر واضح في معالم شخصيتها العظيمة.

ويجدر بنا أن نذكر دور أُمِّها عليها السَّلام التي ما انفكت تغذيها بخلق جدها المصطفى صلَّى الله عليه وآله، وتفيض عليها مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات، فكانت المربي الأمثل للسيدة زينب عليها السَّلام والمعلم الأكمل الذي استطاع أن يعمق في نفسيتها الروح الرسالية والإعداد الإلهي؛ لتصبح زينب عليها السَّلام إسلاماً يمشي على الأرض.

ثمَّ إنَّ الأدوار التاريخية التي توالت على ذلك البيت المحمَّدي الطاهر أثّرت في شخصيتها أيّما تأثير، فأكسبتها أرفع درجات الكمال من الاتزان والجلادة والصبر أمام المحن والشدائد، فما استطاعت الآلام التي تعاقبت على قلبها أن تهزّ ذلك الجبل الشامخ

(١) ناسخ التواريخ، الميرزا محمد تقي سبهر، المجلد الخاص بحياة السيدة زينب عليها السَّلام، المسمى بـ(الطراز المذهب في أحوال سيدتنا زينب). وجاء في هذا المصدر – أيضاً –: لَمَّا ولدت السيدة زينب عليها السَّلام، مضى عليها عدَّة أيام ولم يعين لها اسم، فسألت السيدة فاطمة من الإمام أمير المؤمنين (عليهما السَّلام) عن سبب التأخير في التسمية؟ فأجاب الإمام: «أنَّه ينتظر أنْ يختار النبيُّ الكريم لها اسماً»، فأقبلت السيدة فاطمة ببنتها إلى النبيِّ (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) وأخبرته بذلك، فهبط الأمين جبرئيل وقال: «يا رسول الله إنَّ ربَّك يقرئك السَّلام ويقول: يا حبيبي اجعل اسمها زينب»، ثمَّ بكى جبرئيل، فسأله النبيُّ عن سبب بكائه، فقال: «إنَّ حياة هذه البنت سوف تكون مقرونة بالمصائب والمتاعب، من بداية عمرها إلى وفاتها».

من الإباء والصمود.

وفي خضم الوقائع والأحداث المتوالية على أهل البيت عليهم السَّلام نبتت تلك الشجرة وتفرعت أغصانها الزاهرة؛ لتحمل ثماراً تقطفها يد المنون في يوم عاشوراء، فكان للإعداد التربوي الإلهي الذي تلقته السيدة زينب عليها السَّلام من بيت الوحي والنبوة دور فاعل في إعداد شخصيتها وتنشئتها نشأة مرموقة، من حيث الجانب الفكري والروحي، فكان ذلك البيت الطاهر المعدَّ الفعلي لها، لتحمل الرسالة الحسينية بجميع مضامينها ناشرة إياها بروح ملؤها الصبر والإيمان، ليبلغ مداها جميع آفاق الأُمَّة الإسلاميَّة شرقاً وغرباً، فكانت نعم الداعي لنشر بوادر الثورة الحسينية ومعالمها بين الأجيال وإلى زماننا اليوم، فقد أخذت السيدة زينب عليها السَّلام دوراً مهماً وبارزاً في نشر القيم والمبادئ الإسلامية التي نهض من أجلها أبو الأحرار عليه السلام، فكانت المدَّ الثائر لدم الشهداء في طف كربلاء، فما إنْ أمَّنت عليها السَّلام الدماء دماء الشهداء حتى استرسلت تبين للناس الحقائق التي حاول بنو أُميَّة دفنها بقتل الإمام الحسين عليه السلام.

فسطّرت بذلك أروع قيم البطولة والجهاد بصبرها وصمودها متحدِّية أهل الشرك والضلالة، رافعة لواء التوحيد في سماء الحقِّ، لتبقى قافلة الإمام الحسين عليه السلام سائرة نحو كربلاء الشهادة، مطهرة لوجه الدين الحنيف ممَّا أُلصق به من بدع وضلالات، فكانت بحق نعم الثائرة بوجه الشيطان وحزبه اللعناء، فسلام عليها يوم ولدت ويوم تموت ويوم تبعث حية.

ويمكن رصد مرحلتين أساسيتين في حياة السَّيدة زينب عليها السَّلام:

الأُولى: منذ ولادتها عليها السَّلام إلى أواخر عام ٦٠ من الهجرة النبويَّة، عاشت فيها بمحضر النبيِّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وفي حِجر فاطمة البتول عليها السَّلام، وفي كَنف أمير المؤمنين عليه السلام، ودرجت في بيت الوحي والرسالة مع أخوَيها الحسن والحسين عليهما السَّلام.. فارتشفت من المعارف الإلهيَّة ما حُرمت منه النساء جميعاً إلَّا أَمَّها الزهراء عليها السَّلام.

وقد عايشت أهلَ بيت المصطفى صلَّى الله عليه وآله في محنهم ومهمّاتهم، وودّعت جدَّها وأُمَّها وأباها وأخاها الحسن (سلام الله عليهم)، شهداء، الواحد بعد الآخر، حتّى بقي لها قرةُ العين، أَخوها أبو عبد الله الحسين عليهما السَّلام، يملأ قلبها ونفسها، ويطيّب حياتها المفجوعة بأخلاقه الشريفة، كما بقي لها إخوتها من أُمِّ البنين: العباس وإخوته (رضي الله عنهم)، هي لهم أُخت وعقيلة فاضلة ترعاهم ويُجلّونها.

وفي هذه المرحلة صدر عنها من العلوم القرآنيَّة والأخبار والروايات ما ثبّتت به حقائق كثيرة في حياة الرسالة وضمائر المسلمين، فهي التي روت لنا خطبة أُمِّها الصديقة فاطمة عليها السَّلام، والتي احتجّت بها على مَن غصب فدكاً، روتها بحذافيرها وطولها ولم تكن تبلغ السابعة من عمرها الشريف حين سمعت الخطبة تلك، كما روت قصة ولادة الإمام الحسين عليه السلام، نقلتها عن أُمِّها، وعن العقيلة زينب رواها ابن أَخيها عليٌّ بن الحسين عليهما السَّلام.

الثانية: بدأت من يوم رحيلها إلى أرض كربلاء برفقة أخيها سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام تؤازره وتنصره، وتقدّم أولادها بين يديه ضحايا فداءً لإمامته، فقطعت ذلك الطريق الصعب من المدينة المنورة إلى طفّ الغاضرية، حيث مصارع الأحبَّة الكرام، إخوتِها وبني عمومتها وولْدها وأصحاب أهل بيتها، وبني إخوتها وآل أبي طالب وبني هاشم.

فكانت نعمت الأُخت المواسية لأخيها، ونعمت الموالية المضحية للإمامة، أقدمت على يقين وبصيرة وإيمان، واصطحبت ركب الإمام الحسين عليه السلام وعقائل الوحي، وكان عليها أنْ ترى الفجائع بأُمِّ عينها، وكُتِب عليها أنْ تجلس عند الضحايا، أشلاء مُجُزّرين على صعيد المنايا، وتشاهد مصارع الشهداء، وبينهم سيدهم ريحانة المصطفى عليه السلام.

وقدَّمت القرابين شاكرة لله تعالى وهي تقول: إلهي تقبّلْ منا هذا القربان. وأيّ قربان كان! سيّد شباب أهل الجنة، وهانت عليها المصائب والرزايا رغم عِظَمها، لأنّها في عين الله، ولأنَّها خالصة لوجه الله.

ثمَّ كان السبي، وما أدرانا ما السبي! ثمَّ كان عليها أنْ تخطب في الكوفة والشام، وأنْ تواجه الطغاة، وأنْ تحفظ وديعة الله وإمام عصرها الإمام السجاد عليَّ بن الحسين عليهما السَّلام، وأنْ ترعى العيال وهم جمع من الأرامل واليتامى يتصارخون ممَّا لاقوا.

ثمَّ كان عليها عليها السَّلام أنْ تصدع بقصة الطف الرهيبة، تطبق بها الآفاق، فتبعث الرسائل الحسينيَّة إلى حيث استطاعت، فتنزل بذلك على الحكم الأُموي قوارع ولعنات، وهي ما تزال اللَّبوة الحيدريَّة، مع جراحاتها البالغة وقد جاوزت الرابعة والخمسين من عمرها، فترى تلك النوازل، ومنها أنْ يُشهَر أمامها رأس أخيها الإمام الحسين عليه السلام.

ولم تمضِ سنة ونصف السَّنة على واقعة كربلاء وفاجعتها، حتّى ضاق البلاط الأُموي بالعقيلة زينب عليها السَّلام؛ فهي سفيرة الإمام الحسين عليه السَّلام وراوية قصته، قصة الشهادة العظمى بلسانها ونحيبها وجميع حالاتها، فأُبعدت عن موطن جدِّها، إلى أين؟ إلى الشام من جديد، حيث ذكريات السَّبي والدخول وسط الشامتين والمجابهة في قصر الطاغية يزيد، وحيث هناك عُلِّق رأس الشهيد على شجرة أيّاماً مُرَّة، فأجهشت بالبكاء،

ثمّ شهقت، ثمَّ غصّت غصة الحزن العميق، كانت فيها نفسُها الطاهرة الزكية.

فكانت شهيدةَ بيت الوحي أيضاً، لا بسيفٍ ولا برمحٍ ولا سُمٍّ، ولكن بمصائب عجيبة، فقضت حزناً على حبيب المصطفى صلَّى الله عليه وآله وحباً له وشوقاً إليه، ورسول الله صلَّى الله عليه وآله هو القائل «**من مات على حُبِّ آل محمّد مات شهيداً**»[1].

(١) جامع الأخبار: ج٢٢، ص٤٧٤.

# الفصل الأوّل

## فاجعة كربلاء - أسفارها - زوجها - أولادها



## المبحث الأول: فاجعة كربلاء

ومن هنا.. بقيت «**فاجعة كربلاء**» خالدة إلى يوم القيامة، عند كلِّ مجتمع يمتاز بالوعي والإدراك، وفهم المفاهيم والقيم الإنسانيَّة، وكلَّما ازداد البشر نُضجاً وفَهماً أقبل على دراسة وتحليل هذه الفاجعة بصورة أوسع، والتفكير حولها بشكل أشمل، والكتابة عنها بتفصيل أكثر.

وقد شاء الله تعالى أنْ يبقى هذا الملف مفتوحاً لدى العقلاء المؤمنين، ويُجدّد فتحه في كلِّ عام، بل في كلِّ يوم، لتحليل ودراسة جزئيّات هذه الفاجعة!!

ولخلود فاجعة كربلاء - وامتيازها على بقيّة فجائع وكوارث التاريخ - أسباب متعددّة، نذكر بعضها، ليعرف ذلك كلُّ من يبحث عن إجابة لهذا السؤال، ويريد معرفة الواقع والحقيقة:

١- إنَّ الذين انصبّت عليهم مصيبة القتل أو السبي - في هذه الفاجعة - كانوا هم أفضل طبقات البشر، وأشرف خلق الله تعالى رجالاً ونساءً، بل كانوا في قمّة شاهقة، ودرجة عالية من العظمة والجلالة والإيمان بالله تعالى، والنفسيّة الطيّبة، بحيث لا مجال لأنْ نقيس بهم غيرهم من البشر، مهما كانوا عظماء.

٢- إنَّ الذين ارتكبوا الجرائم - في هذه الفاجعة.. كانوا أخبث البشر، وأكثر الناس لؤماً، وأخسّهم نفسيّةً.

٣- إنَّ هذه الفاجعة مهّدَت الطريق لسلسلة من الفجائع والجرائم والجنايات،

فأعطت الناس الجُرأة بأنْ لا يخافوا من أحد، ولا يلتزموا بعقيدة أو دين، فكان عمل مرتكبي هذه الفاجعة بمنزلة تأسيس الأُسُس وفتح الطريق أمام كلِّ خبيث ولئيم، في أنْ يقوم بما تطيبُ له نفسه القذرة من الجرائم والجنايات!

ولقد جاء في التاريخ أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام صرَّح بهذه الحقيقة، أثناء مُقاتَلَته مع أهل الكوفة، فقال: «... **يا أُمَّة السَوء، بئسما خلفتم محمداً في عترته، أَمَا إنَّكم لن تقتلوا بعدي عبداً من عباد الله فتهابوا قتله، بل يهون عليكم ذلك عند قتلكم إيّاي**...»[١].

٤- إنَّ طبيعة الحياة هي أنّ التاريخ يُعيد نفسه، لكن مع اختلاف الأفراد والأجيال، فكان ضروريّاً على كلِّ مسلم أنْ يستلهم الدروس والعبر من هذه الفاجعة الكبرى، ويقوم بدراستها ومعرفة تحليلها بشكل شامل، لكي لا يفشل في الامتحانات الإلهيّة الصعبة، والمنعطفات الحادّة الخطيرة، وحتى لا تتكرّر مآسٍ وفجائع مشابهة.

بل وحتى لو تكرّر ذلك فإنّه يبادر إلى صفوف الأخيار، ويتّخذ موقف الإنسان المؤمن الذي يخاف الله تعالى، ويؤمن بيوم الحساب، وذلك لأنَّ لديه خلفيّة دينيّة واسعة وشاملة عن فاجعة كربلاء ومضاعفاتها.

٥- إنَّ فتح ملف «**فاجعة كربلاء**» والبكاء حين قراءة أو سماع تفاصيلها يعني تأمين جاذبيّة عاطفيّة قويّة، لا يمكن تَصَوُّر درجة قوّتها تجذب الناس نحو الدين بـ«**اسم الإمام الحسين عليه السَّلام**»!!

وهنا ينبغي الالتفات إلى حقيقة مهمّة، وهي أنّ الأدلّة العقليّة والاستدلالات المنطقيّة - في مجال دعوة الناس إلى الالتزام بالدين - تقوم بدَور الإقناع فقط، لكن لا بُدَّ لذلك

(١) كتاب بحار الأنوار: ج٤٥، ص٥٢.

من عامل يجذب الناس لاستماع هذه الأدلّة، وأقوى عوامل الجذب هو العامل العاطفي، وهو متوفّر في كلِّ تفصيل من تفاصيل هذه الفاجعة!

وهذه الجاذبيّة لا تقتصر على جذب الناس نحو الدين فحسب، بل تجذبهم نحو الفضائل والأخلاق، والتطبيق العملي لبنود الدين، وتعلّم معالم وعقائد وعبادات الدين من أئمة أهل البيت (عليهم السَّلام) وليس مِن غيرهم.

فإنَّ الله تعالى جعل شرط قبول الأعمال ولاية أهل البيت عليهم السَّلام واتّباعهم، لا مجرّد محبّتهم، وجعل الله عزَّ وجلَّ الإسلام الواقعي ينحصر في مذهب أهل البيت عليهم السَّلام، لا المذاهب الأُخرى، حتى وإن كانت تلك المذاهب مشتملة على ظواهر ومظاهر دينيّة، فالمظهر وحده لا يكفي، بل لا بُدَّ من التمسّك بالمحتوى الصحيح!

ولا بُدَّ من التوقيع الإلهيِّ على شرعيّة ذلك المذهب، عن طريق نزول الوحي على رسول الله الصادق الأمين، أو ظهور المعجزات من إمام ذلك المذهب.

ولذلك فقد اشتُهر وتواتر عن رسول الله (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) قوله: «**مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، مَن ركبها نجى، ومن تخلّف عنها غرِق**».

## المبحث الثاني: أسفار السيدة زينب عليها السَّلام

لا بُدَّ من المرور على حقبة مهمَّة من حياة السَّيدة الحوراء (سلام الله عليها)، ونعني بذلك مجموع الأسفار التي قامت بها خارج مسقط رأسها مدينة جدها المصطفى صلَّى الله عليه وآله، وقد ذكرت كتب التاريخ عدَّة أسفار قامت بها عليها السَّلام وهي:

### سفرها الأَوَّل

سافرت السَّيدة زينب عليها السَّلام برفقة والدها أمير المؤمنين (عليهما الصَّلاة والسَّلام) من المدينة المنورة إلى الكوفة، لَمَّا هاجر إليها، وكانت في هذا السفر وهي في غاية العزِّ ونهاية الجلالة والاحتشام، يسير بها موكب فخم رهيب من مواكب المعالي والمجد، محفوفاً بأُبهة الخلافة يتقدَّمه سيد العرب أبوها الوصي ومن جوانبه إخوتها وحماتها الحسنان وكافلها قمر العشيرة أبو الفضل العباس ابن أمير المؤمنين، وحامل الراية العظمى محمَّد ابن الحنفية، وزوجها الجواد عبد الله بن جعفر وأبناء عمومتها عبد الله بن عباس وعبيد الله وإخوتهما، وبقية أبناء جعفر الطيار وعقيل بن أبي طالب وغيرهم من فتيان بني هاشم، وأتباعهم من رؤساء القبائل وسادات العرب مدججين بالسلاح غائصّين في الحديد، والرايات ترفرف على رؤوسهم وتخفق على هاماتهم، وهي في غبطة وفرح وسرور، وكان هذا الموكب محاطاً بهيبة النبوَّة، مشتملاً على السكينة والوقار.

### سفرها الثاني

هجرتها من الكوفة إلى المدينة المنورة مع أخويها الحسنين عليهما السَّلام، بعد أنْ صالح كبير البيت الهاشمي الإمام الحسن المجتبى عليه السَّلام معاوية، وكان هذا السفر لا يختلف حالاً عن السفر الأَوَّل والموكب لا يختلف عن سابقه، فقد كان موكباً فخماً في



غاية العزِّ والعظمة والجلال، وتحفُّه من جوانبه الأبطال من إخوتها وأبناء عمومتها من بني هاشم الكرام، حتى استقرَّ من جديد في مهبط الوحي والتنزيل مدينتها وسلوى فؤادها المدينة المنورة، حيث مثوى جدِّها الرسول الأكرم صلَّى الله عليه وآله، ومسقط رأسها ومدفن أُمِّها الزهراء البتول عليها السَّلام.

**سفرها الثالث**

حينما هاجرت من المدينة المنورة إلى كربلاء مع أخيها الإمام الحسين عليه السَّلام، وكان هذا السفر قد اشتمل على نبذة من مصائبها وصبرها وإخلاصها وثباتها، فيروى أنَّه لَمَّا عزم الإمام الحسين عليه السَّلام على السفر من الحجاز إلى العراق، استأذنت السَّيدة زينب زوجها عبد الله بن جعفر أنْ تصاحب أخيها الإمام الحسين عليه السَّلام، فقد اشترط أمير المؤمنين عليه السَّلام عليه في ضمن عقد النكاح أن لا يمنعها متى أرادت السفر مع أخيها الحسين عليه السَّلام، فأذن لها وأمر ابنيه عوناً ومحمَّداً بالمسير مع الإمام الحسين عليه السَّلام، والملازمة في خدمته والجهاد دونه، فسافرت عليها السَّلام في ذلك الموكب الحسيني المهيب، في عزٍّ وجلالٍ وحشمةٍ ووقارٍ، تحملها المحامل، تحت رعاية أَخيها الإمام الحسين عليه السلام.

تحفُّ بها الأبطال من عشيرتها وتكتنفها الأُسود من إخوتها وأبناء إخوتها وعمومتها كأبي الفضل العباس، وعليٍّ الأكبر، والقاسم بن الحسن، وأبناء جعفر وعقيل، وغيرهم من الهاشميين (عليهم السَّلام)، والعبيد والإماء طوع أمرها ورهن إشارتها، وفي هذه السفرة كانت السَّيدة الحوراء منقطعة من علائق الدنيا بأَسرها في سبيل الله، معرضة عن زهرة الحياة من المال والبيت والزوج والولد والخدم والحشم، وصحبت أَخاها سيد الشهداء مبتغية بذلك نصرة دين الله وبذلاً للنفس والنفيس لإمامها المعصوم المفترض

الطاعة، كما أنَّ ما سيجري عليها من المصائب والنوائب والمحن بكلِّ فصولها لم يكن بعيداً عن تصورها، كما دلَّ على ذلك الحديث الذي رواه ابن قولويه (قدس الله نفسه) عن نوح بن دُرّاج قال: (حدَّثني قُدامة بن زائِدة، عن أبيه قال: قال عليٌّ بن الحسين عليهما السَّلام: «**بلغني يا زائِدَةُ أنّك تَزورُ قبرَ أبي عبد الله الحسين عليه السَّلام أحياناً؟**»، فقلت: إنَّ ذلك لَكَما بَلَغك، فقال لي: «**فلماذا تفعَلُ ذلك ولكَ مَكانٌ عند سُلطانك الَّذي لا يحتمل أحداً على محبّتنا وتفضيلنا وذِكرِ فضائِلنا والواجب على هذه الأُمَّة مِن حَقِّنا؟**».

فقلت: والله ما أُريد بذلك إلّا اللهَ وَرسولَه، ولا أحْفِلُ بسخط مَن سَخَط، ولا يكبُرُ في صدري مكروه ينالني بسببه، فقال: «**والله إنَّ ذلك لَكذلك**»، فقلت: والله إنَّ ذلك لَكذلك، يقولها - ثلاثاً - وأقولها - ثلاثاً - فقال: «أبشِر ثمَّ أبشِر ثمَّ أبشِر، فَلأُخبرنَك بخبر كان عندي في النُّخَبِ المخزونة، فإنَّه لَمَّا أصابنا بالطَّفِّ ما أصابنا وقُتِل أبي عليه السَّلام وقُتِل مَن كان معه مِن وُلده وإخوته وسائر أهلِه، وحملت حُرْمه ونساؤه على الأقتاب يرادّ بنا الكوفة، فجعلت أنظر إليهم صَرعى ولم يواروا، فعظم ذلك في صدري واشتدَّ لما أرى منهم قلقي، فكادت نفسي تخرج وتبيّنت ذلك منِّي عَمَّتي زَينب الكُبرى بنت عليٍّ عليهما السَّلام، فقالت: ما لي أراك تجود بنفسك يا بقيّة جدِّي وأبي وإخوتي؟ فقلت: وكيف لا أجزع وأهْلَعُ وقد أرى سَيّدي وإخوتي وعُمُومتي وولد عَمِّي وأهلي مُضرجين بدمائهم، مرمّلينَ بالعرى، مسلبين، لا يُكفَّنون ولا يُوارون، ولا يُعرج عليهم أحدٌ، ولا يقرُبُهم بَشرٌ، كأنّهم أهل بيتٍ مِن الدَّيْلَم والخَزَر؟!! فقالت: لا يُجْزِعَنَّك ما ترى، فوالله إنَّ ذلك لعهد مِن رَسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى جَدِّك وأبيك وعمّك، ولقد أخذ الله ميثاق أُناسٍ مِن هذه الأُمَّة لا تعرفهم فَراعِنَة هذه الأُمَّة، وهم معروفون في أهل السّماوات أنَّهم يجمعون هذه الأعضاء المُتَفَرّقَةَ فيُوارونَها وهذه الجُسومَ المُضَرَّجة،

وينصبون لهذا الطَّفّ عَلَماً لِقَبر أبيك سيّد الشُّهداء لا يدرس أثره ولا يعفو رَسمُه على كرورِ اللّيالي والأيّام، وليجتهدنَّ أئمّة الكفر وأشياع الضّلالة في مَحْوِه وتطمِيسه فلا يزداد أثره إلَّا ظهوراً وأمره إلَّا عُلوّاً، فقلت: وما هذا العهد وما هذا الخبر؟! فقالت: نَعَم، حدَّثتني أُمُّ أيمن أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلّم زارَ منزل فاطمة عليها السَّلام في يوم من الأيّام، فعملت له حريرة، وأتاه عليٌّ عليه السَّلام بطبق فيه تمرٌ، ثمَّ قالت أُمُّ أيمن: فأتيتهم بعُسٍّ فيه لبن وزُبْد، فأكل رَسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وعليٌّ وفاطمةُ والحسن والحسين عليهم السَّلام من تلك الحريرة، وشرب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وشربوا من ذلك اللّبن، ثمَّ أكل وأكلوا من ذلك التَّمر والزُّبْد، ثمَّ غسل رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يده وعليٌّ يصبُّ عليه الماء، فلمَّا فرغ من غسْل يده مسح وجهه، ثمَّ نظر إلى عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين نظراً عرفنا به السّرور في وجهه، ثمّ رمق بطرْفه نحو السّماء مليّاً، ثمَّ إنَّه وجَّه وجهه نحو القبلة وبسط يديه ودعا، ثمَّ خَرَّ ساجداً وهو ينشِج فأطال النّشوج وعلا نحيبه وجرت دموعه، ثمَّ رفع رأسه وأطرق إلى الأرض ودموعُهُ تقطر كأنّها صوب المطر، فحَزنَت فاطمة وعليٌّ والحسن والحسين عليهم السَّلام، وحزنتُ معهم لما رَأينا من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وهبناه أن نسأله حتّى إذا طال ذلك قال له عليٌّ، وقالت له فاطمة: ما يُبكيك يا رَسول الله لا أبكى الله عَينيك، فقد أقرح قلوبنا ما نَرى من حالك؟!

فقال: يا أخي سررت بكم – وقال مُزاحِم بن عبد الوارث في حديثه ههنا: – فقال: يا حبيبي إنِّي سررت بكم سروراً ما سررت مثله قطّ، وإنِّي لأَنظر إليكم وأحمدُ الله على نعمته عليَّ فيكم، إذ هبط عليَّ جبرئيل عليه السَّلام فقال: يا محمَّد إنَّ الله تبارك وتعالى اطّلع على ما في نفسِك وعرف سرورَك بأخيك وابنتك وسِبطيك فأكمل لك النِّعمة وهنَّأك

العَطِيّة بأن جعلهم وذُرّيّاتهم ومحبِّيهم وشيعتهم مَعَكَ في الجنَّة لا يفرق بينك وبينهم، يحبون كما تحبى ويُعطون كما تعطى حتّى ترضى، وفوق الرِّضا على بلوى كثيرة تنالهم في الدُّنيا ومكاره تصيبهم بأيدي أُناس ينتحلون مِلّتك ويزعمون أنّهم من أُمَّتك، بُرَآء من الله ومنك خَبْطاً خَبْطاً وقَتلاً قَتلاً، شتّى مَصارِعُهم، نائية قبورهم، خيرة من الله لهم ولك فيهم، فاحمدِ اللهَ عزَّ وجَلَّ على خيرته وارضَ بقضائه.

فحمدتُ اللهَ ورَضيت بقضائه بما اختاره لكم، ثمَّ قال لي جبرئيل: يا محمّد إنَّ أخاك مُضطَهدٌ بعدَك مغلوب على أُمّتك متعوبُ من أعدائِك، ثمّ مقتول بعدَك يقتله أشرُّ الخلق والخَليقة، وأشقى البَرِيّة، يكون نظيرَ عاقِرِ النّاقة ببلد تكون إليه هِجرته وهو مَغرَسُ شيعته وشيعة ولده، وفيه على كلِّ حال يكثر بَلواهم ويعظم مُصابهم، وإنَّ سِبطَك هذا - وأومأ بيده إلى الحسين عليه السَّلام - مقتولٌ في عِصابة من ذُرّيّتك وأهل بيتك وأخيار من أُمّتك بضِفَّة الفرات بأرض يقال لها: كربلاء، مِن أجلِها يكثر الكَرْب والبَلاء على أعدائك وأعداء ذرِّيتك في اليوم الّذي لا ينقضي كَربُه، ولا تَفنى حَسرتُه، وهي أطيب بقاع الأرض، وأعظمها حُرْمةً، وأنّها مِن بَطحاء الجَنّة، فإذا كان ذلك اليوم الَّذي يُقتَل فيه سِبطُك وأهلُه، وأحاطتْ به كَتائبُ أهل الكفر واللَّعنة، تَزَعْزَعَتِ الأرضُ مِن أقطارها ومادّتِ الجبالُ وكثر اضطرابها واصطفَقَتِ البِحار بأمواجِها، وماجَتِ السّماوات بأهلها غضباً لك يا محمّد ولِذُرِّيَّتك، واستعظاماً لما يُنْتَهك مِن حُرْمَتِك، ولشرّ ما تكافأ به في ذرِّيّتك وعِترتك، ولا يبقى شَيء من ذلك إلَّا استأذن اللهَ عزَّ وجَلَّ في نُصرةِ أهلك المستضعَفين المظلومين الّذين هم حُجّة الله على خَلقه بعدك، فيوحي اللهُ إلى السَّماوات والأرض والجِبال والبَحار ومَن فيهنَّ: أنّي أنا الله الملِكُ القادِرُ الَّذي لا يَفوتُه هاربٌ ولا يعجزه مُمتنعٌ، وأنا أقدر فيه على الانتصار والانتقام، وعزَّتي وجَلالي لأُعذِّبنَّ مَن وَتر

رسولي وصَفِيّي؛ وانتَهكَ حُرمَتَه وقَتَلَ عترتَه ونبذَ عَهدَه وظَلَم أهل بَيْته عذاباً لا أُعذِّبه أحداً من العالمينَ، فعند ذلك يَضِجّ كلُّ شيء في السّماوات والأرضين بلَعن مَن ظَلَم عِترتَك واستحلَّ حُرمَتك، فإذا بَرزت تلك العِصابة إلى مضاجِعها تولّى الله عزَّ وجلَّ قبض أرواحها بيده وهبط إلى الأرض ملائكة من السّماء السّابعة معهم آنِيةٌ من الياقوت والزُّمرُّد مملوءة من ماء الحياة وحُلَلٌ مِن حُلَلِ الجنّة وطيبٌ من طيب الجنّة، فغَسّلوا جثثهم بذلك الماء وألبسوها الحلل وحَنّطوها بذلك الطّيب، وصلَّت الملائكة صَفّاً صَفّاً عليهم، ثمَّ يبعث الله قَوماً من أُمّتك لا يَعرِفُهم الكُفّار لم يشركوا في تلك الدِّماء بقولٍ ولا فعلٍ ولا نِيّة، فيوارُون أجسامَهم ويقيمون رَسْماً لقبر سَيّد الشّهداء بتلك البطحاء يكون عَلَماً لأهل الحقّ، وسَبباً للمؤمنين إلى الفَوز، وتحفّه ملائكة من كلِّ سماء مائة ألف ملك في كلِّ يوم وليلة، ويصلّون عليه ويسبّحون الله عنده ويستغفرون الله لِمَن زارَه ويكتبون أسماءَ مَن يأتيه زائراً من أُمتك مُتقرّباً إلى الله تعالى وإليك بذلك، وأسماء آبائهم وعَشائرهم وبُلدانهم، ويوسِمون في وجوههم بِميسم نور عرش الله: (هذا زائر قبر خَيرِ الشُّهداء وابن خيرِ الأنبياء)، فإذا كان يوم القيامة سطع في وجوههم من أثر ذلك الميسم نور تغشى منه الأبصار يدلُّ عليهم ويعرفون به، وكأنّي بك يا محمّد بيني وبين ميكائيل، وعليٌّ أمامنا ومعنا من ملائكة الله ما لا يُحصىُ عَددُهم، ونحن نلتقط من كان ذلك الميسم في وجهه من بين الخلائق حتّى ينجيهم الله مِن هول ذلك اليوم وشدائده، وذلك حكم الله وعطاؤه لمن زارَ قبرَك يا محمّد أو قبرَ أخيك أو قبرَ سِبطيك لا يريد به غيرَ الله عزَّ وجلَّ، وسَيجتهد أُناس ممّن حقّتْ عليهم اللّعنة مِن الله والسَّخَط أن يعفوا رَسْم ذلك القبر ويمحو أثره فلا يجعل الله تبارك وتعالى لهم إلى ذلك سبيلاً، ثمَّ قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله: فهذا أبكاني وأحْزَنني».

قالـت زَينـب عليها السَّـلام: فلـمّا ضرب ابن مُلْجـم (لعنـه الله) أبي (عليه السَّـلام) ورأيـت عليـه أثَـر المـوت منـه قلـت لـه: يـا أبـة حدَّثتْنـي أُمُّ أيمـن بكـذا وكـذا، وقـد أحببـت أن أسـمعه منـك، فقـال: «يـا بنيّـة الحديـث كـما حدَّثَتْـك أُمُّ أيمـن، وكأنّي بك وببنـات أهلِك سـبايا بهـذا البلـد أذِلاّء خاشـعين تخافـون أن يَتَخَطّفكم النّـاس؛ فصبراً صَـبراً، فـو الَّـذي فَلَـق الحبَّة وبَـرَءَ النَّسَـمة ما لله عـلى ظَهـر الأرض يومئـذٍ وليٌّ غيرُكم وغـيرُ مُحبّيكـم وشـيعتكم، ولقـد قـال لنا رَسـول الله (صـلّى الله عليه وآله وسـلّم) حين أخبرنـا بهـذا الخـبر: أنَّ إبليـس (لعنـه الله) في ذلـك اليـوم يطِـيرُ فَرحاً فيَجـول الأرض كلَّهـا بشـياطينه وعَفارِيتِه فيقـول: يا معاشِرَ الشّـياطين قد أدركنـا مِن ذُريّـة آدم الطّلبة، وبلغنـا في هَلاكهـم الغايـة، وأورثناهـم النّـار إلَّا مَـن اعتصَمَ بهـذه العِصابـة، فاجعلوا شـغلكم بتشـكيك النّاس فيهم وحملهـم على عَداوتهـم، وإغرائهم بهـم وأوليائهم حتّى تسـتحكمَ ضَلالـة الخلـق وكفرهـم، ولا ينجـو منهم نـاجٍ، ولقـد صدق عليهـم إبليس وهـو كَذوب، أنّـه لا ينفع مـع عداوتكم عمل صالِـح ولا يضرّ مع محبّتكـم وموالاتكم ذَنـبٌ غـير الكبائـر، قال زائدة: ثـمَّ قال عليُّ بن الحسـين عليهما السَّـلام بعـد أن حدَّثني بهـذا الحديـث: خـذه إليك، أمـا لو ضربـت في طلبه آبـاط الإبل حَـولاً لكان قليـلاً»(١).

**سفرها الرابع**

من كربلاء إلى الكوفة، ومن الكوفة إلى الشام بعد قتل أخيها الحسين عليه السَّلام وأصحابه الأبرار تحت رعاية الظالمين ويشتمل هذا السفر على خطبتيها البليغتين في الكوفة وفي مجلس يزيد في الشام.

(١) كامل الزيارات: ص٢٧٨.

## سفرها الخامس

من الشام إلى كربلاء ومن كربلاء إلى المدينة في رعاية النعمان بن بشير وأصحابه، وقد أمرهم يزيد بالرفق بنساء الحسين عليه السَّلام.

وقال السيد ابن طاووس[1]: لَّما بلغوا العراق قالوا للدليل: مرَّ بنا على طريق كربلاء، فوصلوا إلى موضع المصرع، فوجدوا جابر بن عبد الله الأنصاري (رحمه الله) وجماعة من بني هاشم ورجالاً من آل الرسول صلَّى الله عليه وآله، قد وردوا لزيارة قبر الحسين عليه السَّلام، فتوافوا في وقت واحد، وتلاقوا بالبكاء والحزن واللطم، وأقاموا المآتم المقرحة للأكباد، واجتمع إليهم نساء ذلك السواد فأقاموا على ذلك أياماً، قال: ثمَّ انفصلوا من كربلاء طالبين المدينة، قال بشر بن حذلم: فلمَّا قربنا منها نزل عليُّ بن الحسين عليه السَّلام فحطَّ رحله وضرب فسطاطه وأنزل نساءه وقال: «**يا بشر، رحم الله أباك لقد كان شاعراً، فهل تقدر على شيء منه؟**»، فقلت: بلى يا بن رسول الله، إنِّي لشاعر، فقال عليه السَّلام: «**ادخل المدينة وانع أبا عبد الله عليه السَّلام**»، قال بشر: فركبت فرسي وركضت حتى دخلت المدينة، فلمَّا بلغت مسجد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله رفعت صوتي بالبكاء وأنشأت أقول:

**يا أهل يثرب لا مقام لكم بها ... قُتل الحسين فأدمعي مدرار**

**الجسم منه بكربلاء مضرج ... والرأس منه على القناة يدار**

قال: ثمَّ قلت: هذا عليُّ بن الحسين عليهما السَّلام مع عماته وأخواته قد حلوا بساحتكم ونزلوا بفنائكم، وأنا رسوله إليكم أعرفكم مكانه، قال: فما بقيت في المدينة مخدرة ولا محجبة إلَّا برزن من خدورهن مكشوفة شعورهن، مخمشة وجوههن، مضروبة

(١) اللهوف في قتلى الطفوف: ص١١٤.

خدودهن، يدعون بالويل والثبور، فلم أرَ باكياً وباكية أكثر من ذلك اليوم، ولا يوماً مرَّ على المسلمين مثله، وقال أبو مخنف في مقتله نظير ما نقله السيد ابن طاووس، ثمَّ قام السجاد عليه السَّلام يمشي إلى أن دخل المدينة، فلمَّا دخلها زار جده رسول الله صلَّى الله عليه وآله ثمَّ دخل منزله.

وفي (المنتخب): وأمَّا أُمُّ كلثوم فحين توجهت إلى المدينة جعلت تبكي وتقول:

مدينة جدنا لا تقبلينا فبالحسرات والأحزان جينا

خرجنا منك بالأهلين جمعاً رجعنا لا رجال ولا بنينا

**السفر السادس**

من المدينة إلى الشام تحت رعاية زوجها عبد الله بن جعفر، مع بعض النساء من بني هاشم على اختلاف الروايات، وأمَّا سبب تلك الرحلة فهناك رأيان:

١- بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام أخذت السيدة زينب عليها السَّلام دور المقاومة السلميَّة، وقامت بفضح الأُمويين وبيان حقيقتهم للرأي العام، ما استدعى ذلك أنْ تقوم السلطات الأُمويَّة بدفعها إلى خارج المدينة، فهاجرت هي وزوجها عبد الله بن جعفر إلى الشام، واستقرت هناك حتى وافتها المنيَّة.

٢- وهناك رأي يقول: إنَّ مجاعة أصابت المدينة فرحلت عنها السيدة الحوراء برفقة زوجها عبد الله بن جعفر إلى الشام في ضيعة له هناك، وقد حُمت السيدة زينب عليها السَّلام من وعثاء السفر أو ذكريات أحزان وأشجان من عهد سبي يزيد لآل الرسول صلَّى الله عليه وآله، ثمَّ توفيت على أثرها في نصف رجب سنة خمس وستين من الهجرة، ودفنت هناك حيث المزار المشهور.



## المبحث الثالث: زوجها - أولادها

### المطلب الأَوَّل: ترجمة عبد الله بن جعفر الطيار (رضوان الله عليهما)

قال الشيخ عباس القمِّي (قدس سره) في كتابه سفينة البحار: عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه)، كان جليلاً قليل الرواية، يروي عنه سليم بن قيس وأُمُّه أسماء بنت عميس، وزوجته زينب ابنة عمِّه أمير المؤمنين، وفضائله كثيرة مشهورة، روي أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله مرَّ به وهو يصنع شيئاً من طين من لعب الصبيان، فقال صلَّى الله عليه وآله له: «**ما تصنع بهذا؟**»، قال: أبيعه، قال: «**ما تصنع بثمنه؟**»، قال: أشتري رطباً فآكله، فقال له النبيُّ صلَّى الله عليه وآله: «**اللهم بارك له في صفقة يمينه**»، فكان يقال: ما اشترى شيئاً قط إلَّا ربح فيه، فصار أمره إلى أنْ يمثل به فقالوا: عبد الله بن جعفر الجواد، وكان أهل المدينة يتداينون بعضهم من بعض إلى أن يأتي عطاء عبد الله بن جعفر.... إلى أنْ قال: ما حكي عن جود عبد الله بن جعفر فهو أكثر من أن يذكر وبه يُضرب المثل.

قال صاحب نسمة السحر: سمّى عبد الله بن جعفر ولده معاوية، لأنَّه قد جاء البشير بولادته من إحدى جواريه، وكان بالشام عند معاوية، فبلغه ذلك فاستدعى عبد الله وقال: سمّه باسمي ولك مائة ألف درهم ففعل لحاجته، وأعطاه معاوية المال فوهبه عبد الله للذي بشره به[1]، وقال ابن الأثير عند ذكره مقتل الحسين عليه السَّلام في سنة إحدى وستين من تاريخه الكامل ما نصه: (ولمَّا بلغ عبد الله بن جعفر مقتل ابنيه مع الحسين عليه السَّلام دخل عليه بعض مواليه يعزيه والناس يعزونه فقال مولاه: هذا ما لقيناه من الحسين فحذفه ابن جعفر بنعله وقال: يا بن اللخناء أ للحسين تقول هذا؟! والله لو

(١) انظر: الغارات، أبو إسحاق إبراهيم محمد الثقفي الكوفي: ج٢، ص٦٩٥.

شهدته لأحببت أن لا أُفارقه حتى أُقتل معه، والله إنَّه لمما يسخي بنفسي عنهما ويهوّن عليَّ المصاب بهما أنَّهما أُصيبا مع أخي وابن عمِّي مواسين له صابرين معه، ثمَّ قال: إنْ لم تكن آست الحسين يدي فقد آساه ولدي)[١].

ونقل السيد علي خان في الدرجات الرفيعة عن المدائني نحوه وزاد في آخره: (ثمَّ أقبل على جلسائه فقال: الحمد لله، عزَّ عليَّ مصرع الحسين، إنْ لم أكن واسيت حسيناً بيدي فقد واساه ولداي)، وسمي مولاه القائل: هذا ما لقينا من الحسين بأبي السلاسل[٢].

وفي تنقيح المقال في ترجمته عن الخصال للصدوق (رحمه الله) بإسناده عن أبي عبد الله عليه السَّلام قال: «**إنَّ رجلاً مرَّ بعثمان بن عفان وهو قاعد على باب المسجد فسأله فأمر له بخمسة دراهم فقال له الرجل: أرشدني فقال: دونك الفتية الذين ترى، وأومأ بيده إلى ناحية المسجد وفيها الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر (عليهم السَّلام)، فمضى الرجل نحوهم حتى سلَّم عليهم وسألهم فقال له الحسن عليه السَّلام: «يا هذا إنَّ المسألة لا تحل إلَّا في إحدى ثلاث، دم مفجع، أو دين مفزع، أو فقر مدقع، ففي أيها تسأل؟»**، فقال: في واحدة من هذه الثلاث، فأمر له الحسن عليه السَّلام بخمسين ديناراً، وأمر له الحسين عليه السَّلام بتسعة وأربعين ديناراً، وأمر له عبد الله بثمانية وأربعين ديناراً، فانصرف الرجل ومرَّ بعثمان فقال له: ما صنعت؟ قال: مررت بك فسألتك فأمرت لي بما أمرت فلم تسألني فيما أسأل، وإنَّ صاحب الوفرة قال لي: فيم تسأل؟ ثمَّ ذكر السؤال والجواب... إلى أنْ قال: فقال عثمان: فمن لك بمثل أولئك؟! فُطموا العلم وحازوا الخير والحكمة)[٣].

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ج٤، ص٨٩.
(٢) انظر: ترجمته المبسوطة: ص١٦٨-١٨٤.
(٣) انظر: الغارات: ج٢، ص٦٩٥.

وفي كتب كثيرة منها الدرجات الرفيعة في ترجمة عبد الله بن جعفر: (خرج الحسنان عليهما السَّلام وعبد الله بن جعفر (رضي الله عنه) وأبو حبة الأنصاري من مكَّة إلى المدينة، فأصابهم مطر فرجعوا إلى خباء أعرابي فأقاموا عنده ثلاثاً حتى سكنت السماء وذبح لهم، فلمَّا ارتحلوا قال له عبد الله: إنْ قدمت المدينة فاسأل عنَّا، فاحتاج الأعرابي بعد سنين فقالت امرأته: لو أتيت المدينة فلقيت أولئك الفتيان فقال: قد نسيت أسماءهم فقالت: سل عن ابن الطيار فأتاه فقال: إلقِ سيدنا الحسن، فلقيه فأمر له بمائة ناقة بفحولها ورعاتها، ثمَّ أتى الحسين عليه السَّلام فقال: كفانا أبو محمَّد مؤونة الإبل، فأمر له بألف شاة، ثمَّ أتى عبد الله (رضي الله عنه) فقال: كفاني أخواي الإبل والشاء، فأمر له بمائة ألف درهم، ثمَّ أتى أبا حبة فقال: والله ما عندي مثل ما أعطوك ولكن جئني بإبلك فأوقرها لك تمراً فلم يزل اليسار في أعقاب الأعرابي).

أقول: ذكر عليُّ بن عيسى الإربلي (رحمه الله) هذه القصة في كشف الغمَّة بنحو آخر، ونصُّ عبارته عند ذكره جود الحسن عليه السَّلام ونصّ عبارته[1]: (ومنها ما رواه أبو الحسن المدائني قال: خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر عليهم السَّلام حجاجاً ففاتهم أثقالهم فجاعوا وعطشوا، فمروا بعجوز في خباء لها فقالوا: هل من شراب؟ فقالت: نعم، فأناخوا بها وليس لها إلَّا شويهة في كسر الخيمة، فقالت: احلبوها وامتذقوا لبنها، ففعلوا ذلك، وقالوا لها: هل من طعام؟ قالت: لا إلَّا هذه الشاة فليذبحها أحدكم حتى أهيئ لكم شيئاً تأكلون، فقام إليها أحدهم فذبحها وكشطها ثمَّ هيأت لهم طعاماً فأكلوا، ثمَّ أقاموا حتى أبردوا، فلمَّا ارتحلوا قالوا لها: نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه، فإذا رجعنا سالمين فألمي بنا فإنَّا صانعون إليك خيراً، ثمَّ ارتحلوا، وأقبل زوجها وأخبرته

(١) كشف الغمة: ص١٦٧، من الطبعة القديمة، (سنة ١٢٩٤)، طهران.

عن القوم والشاة فغضب الرجل فقال: ويحك تذبحين شاتي لأقوام لا تعرفينهم ثمَّ تقولين: نفر من قريش؟! ثمَّ بعد مدَّة ألجأتهما الحاجة إلى دخول المدينة فدخلاها وجعلا ينقلان البعر ويبيعانه ويعيشان منه، فمرَّت العجوز في بعض سكك المدينة، فإذا الحسن عليه السَّلام على باب داره جالس فعرف العجوز وهي له منكرة، فبعث غلامه فردَّها وقال لها: «**يا أَمة الله تعرفينني؟**»، فقالت: لا، قال: «**أنا ضيفك يوم كذا وكذا**»، فقالت العجوز: بأبي أنت وأُمِّي فأمر الحسن عليه السَّلام فاشتُري لها من شاء الصدقة ألف شاة وأمر لها بألف دينار، وبعث بها مع غلامه إلى أخيه الحسين عليه السَّلام فقال: «**بكم وصلك أخي الحسن؟**»، فقالت: بألف شاة وألف دينار، فأمر لها بمثل ذلك، ثمَّ بعث بها مع غلامه إلى عبد الله بن جعفر، فقال: بكم وصلك الحسن والحسين عليهما السَّلام؟ فقالت: بألفي دينار وألفي شاة، فأمر لها عبد الله بألفي شاة وألفي دينار، وقال: لو بدأت بي لأتعبتهما، فرجعت العجوز إلى زوجها بذلك.

قلت: هذه القصة مشهورة وفي دواوين جودهم مسطورة وعنهم عليهم السَّلام مأثورة، وكنت نقلتها على غير هذه الرواية وأنَّه كان معهم رجل آخر من أهل المدينة وأنَّها أتت عبد الله بن جعفر فقال: ابدأي بسيدي الحسن والحسين، فأتت الحسن فأمر لها بمائة بعير وأعطاها الحسين ألف شاة، فعادت إلى عبد الله فسألها فأخبرته، فقال: كفاني سيداي أمر الإبل والشاء، وأمر لها بمائة ألف درهم، وقصدت المدني الذي كان معهم فقال لها: أنا لا أجاري أولئك الأجواد في مدى، ولا أبلغ عشر عشيرهم في الندى، ولكن أعطيك شيئاً من دقيق وزبيب فأخذت وانصرفت).

وفي تاريخ ابن عساكر: (خرج حسين بن عليٍّ وعبد الله بن جعفر وسعيد بن العاص في حجٍّ أو عمرة، فلمَّا قفلوا اشتاقوا إلى المدينة فركبوا صدور رواحلهم بأبدانهم وخلفوا

أثقالهم، كان ذلك في الشتاء فلمَّا بلغوا المنجنين قرب الليل أصابهم مطر واشتدَّ عليهم البرد فاحتاجوا إلى مبيت وكن، فنظروا إلى نار تلوح لهم عن ناحية من الطريق فأموها، فإذا هي نار لإنسان من مزينة فسألوه المبيت والقرى، فأنزلهم وأدخلهم خباءه وحجز بينهم وبين امرأته وصبيانه بكساء، ثمَّ قام إلى شاة فذبحها وسلخها، ثمَّ قرَّبها إليهم وأضرم لهم ناراً عظيمة فباتوا عليها، فدخل على امرأته وهو يظن أنَّهم قد ناموا فقالت له: ويحك ما صنعت بأصبيتك فجعتهم بشويهتهم لم يكن لهم غيرها يصيبون من لبنها لقوم مرّوا بك كسحابة أفرغت ما فيها ثمَّ استقلت لا خير عندهم، فقال لها: ويحك والله لقد رأيت أوجهاً صباحاً لا تسلمهم إلَّا إلى خير فباتوا عنده، فلمَّا أصبحوا أرادوا المضي فقالوا: يا أخا مزينة هل عندك من صحيفة ودواة؟

قال: لا والله هذا شيء ما اتخذته قط فكتبوا أسماءهم بخرقة بحممة ثمَّ قالوا: احتفظ بها، قال: فأكنَّها المزني وأيس من خيرهم، فلبث بذلك ما شاء الله، ثمَّ إنَّه نزل قوم من أهل المدينة قريباً منه فذهب إليهم بالخرقة فقال لهم: تعرفون هؤلاء بأبي أنتم؟

قالوا: ويلك من أين لك هؤلاء؟ فأخبرهم بقصتهم فقالوا له: انطلق معنا فانطلق المزني مع المدنيين حتى قدم المدينة، فغدا إلى سعيد وهو أمير المدينة يومئذٍ فلمَّا رآه رحب به وقال: أنت المزني؟

قال: نعم، قال: هل جئت واحداً من صاحبيّ؟

قال: لا، قال: يا كعب اذهب فأعطه ألف شاة ورعاتها، فلمَّا خرج به كعب قال له: إنَّ الأمير قد أمر لك بما قد سمعت، فإنْ شئت اشترينا لك وإن شئت أعطيناك الثمن بأغلى القيمة؟ قال: لا بل الثمن أحبُّ إليَّ، فأعطاه الثمن، ثمَّ صار إلى حسين، فلمَّا رآه

رحَّب به، ثمَّ قال: «**أمزنياً؟**»، قال: نعم، بأبي أنت وأُمِّي، فقال له: «**هل جئت واحداً من صاحبي؟**»، قال: نعم سعيداً، قال: «**فما صنع بك؟**»، قال: أعطاني ألف شاة ورعاتها، فقال لقيمه: اذهب فأعطه ألف شاة ورعاتها وزده عشرة آلاف درهم، ثمَّ قال له: إنْ شئت ثمن الألف وإنْ شئت اشتريناه لك؟ فاختار الثمن، ثمَّ ذهب إلى عبد الله بن جعفر فقال له: مرحباً، أمزنياً؟

قال: نعم، بأبي أنت وأُمِّي، قال: هل جئت أحداً من صاحبيّ فأخبره بسعيد وبالحسين وبما أعطياه، فقال عبد الله لخازنه: اذهب وأعطه ألف شاة ورعاتها وسجل له ببيع أرض كذا لأرض فيها عين عظيمة الخطر تغل مالاً كثيراً، فكان المزنيون الذين يسكنون الحلح مياسير إلى زمن بعيد لأجل ذلك.

وخرج عبد الله بن جعفر حاجاً فلمَّا كان ببعض الطريق تقدَّم ثقله على راحلة له فانتهى إلى أعرابية جالسة على باب الخيمة، فنزل عن راحلته ينتظر أصحابه، فلمَّا رأته قد نزل قامت إليه فقالت: إليَّ بوأك الله مساكن الأبرار فأُعجب بمنطقها فتحوَّل إلى باب الخيمة، فألقت له وسادة من أدم فجلس عليها، ثمَّ قامت إلى عنيزة في قعر الخيمة، فما شعر حتى قدمت منها عضواً فجعل ينهش وأقبل أصحابه فلمَّا رأوه نزلوا فأتتهم بالذي بقي عندها من العنز فطعموا وأخرجوا سفرهم، فقال عبد الله: ما بنا إلى طعامكم حاجة سائر اليوم، فلمَّا أراد أن يرتحل دعا مولاه الذي كان يلي نفقته فقال: هل معك من نفقتنا شيء؟

قال: نعم، قال: كم هو؟

قال: ألف دينار، قال: أعطها خمسمائة واحتبس لنفقتك باقيها، فدفع المال إليها فأبت أن تقبل، فلم يزل عبد الله يكلِّمها وهي تقول: إليَّ والله أكره عذل بعلي، فطلب إليها عبد

الله حتى قبلت فودّعها وارتحل هو وأصحابه فلـم يلبث أنْ استقبله أعرابي يسوق إبلاً له فقال عبد الله: ما أراه إلَّا المحذور فلو انطلق بعضكم فعلم لنا علمه ثمَّ لحقنا، فانطلق بعض أصحابه راجعاً متنكراً حتى نزل قريباً منه، فلمَّا أبصرت المرأة الأعرابي مقبلاً قامت إليه تتفداه وتقول: بأبي أنت وأُمِّي:

| | |
|---|---|
| توسمته لَّما رأيت مهابة | عليه فقلت المرء من آل هاشم |
| وإلَّا فمن آل المرار فإنَّهم | ملوك من ملوك أعاظم |
| فقمت إلى عنز بقية أعنز | لأذبحها فعل امرئ غير نادم |
| فعوضني منها غناء ولم يكن | يساوي لحيم العنز خمس دراهم |
| بخمس مئين من دنانير عوضت | من العنز ما جادت به كف آدمي |

ثمَّ أظهرت الدنانير له وقصت عليه القصة فقال: بئس لعمر الله معقل الأضياف كنتِ، أبعت معروفك بما أرى من الأحجار؟!

قالت: إنِّي والله قد كرهت ذلك وخفت العذل، قال: وهذه لم تخافي العار وخفت العذل؟! كيف أخذ الركب فأشارت له إلى الطريق قال: وهذا يعني الرجل الذي أرسله عبد الله؟ فقال: أسرجي لي فرسي، قالت: تصنع ماذا؟

قال: ألحق القوم فإنْ سلموا إليَّ معروفي وإلَّا حاربتهم قالت: أنشدك الله أن تفعل فتسوؤهم، فأقبل عليها ضرباً وقال: ركنت إلى إمحاق المعروف، فركب فرسه وأخذ رمحه، فجعل الرجل صاحب عبد الله يسير معه ويقول له: ما أراك تدرك القوم فقال: والله لآتينهم لو بلغوا كذا وكذا، فلما رأى الرجل أنَّه غير منتهٍ قال: على رسلك أدرك لك القوم وأخبرهم خبرك، فتقدَّم الرجل فأخبر ابن جعفر وقصَّ عليه القصة فقال عبد الله:

قد كانت المرأة حذرة من الشؤم، ثمَّ لحقهم الأعرابي فسلَّم عليه ابن جعفر وأخبره بحسن صنيع المرأة فقال: والله ما رأيت ذلك بتمامه فلم يزل يكلِّمه ويسأله والأعرابي يأبى إلَّا ردّ الدراهم، فلمّا رأى عبد الله منه الجد قال له: أنظر في أمرك وما نحبُّ أن يرجع إلينا شيء قد أمضيناه، فتنحى الأعرابي من بين يديه فصلَّى ركعتين، ثمَّ قام فركب فرسه وأخرج قوسه ونبله، فقال له عبد الله: ما هاتان الركعتان؟

قال: استخرت فيهما ربِّي عزَّ وجلَّ في محاربتكم فقال: على ما عزم لك من ذلك؟ قال، عزم لي رشداً أو ترجعون أحجاركم وتسلمون لنا معروفنا؟ فقال عبد الله: نفعل، فأمر بالدنانير فقبضت فولى الأعرابي منصرفاً، فقال له عبد الله: ألا نزودك طعاماً؟ فقال: الحي قريب، فهل من حاجة؟ قال: نعم، قال: وما هي؟ قال: المرأة لا تحرها بسوء فعلك، فاستضحك الأعرابي وولى منصرفاً.

ثمَّ إنَّ عبد الله حكى ليزيد تلك القصة فقال يزيد: ما سمعت بأعجب من هذا[١].

وقال أيضاً: (وعاتبه بعض أصحابه على السخاء فقال: يا هؤلاء إنِّي عودّت الله عادة وعودّني عادة، وإنِّي أخاف إنْ قطعتها قطعني)[٢].

أقول: قصص جود عبد الله بن جعفر وكرمه وسخائه أكثر من أن تحصى، والكتب الموضوعة لذكر الأجواد والكرماء والأسخياء قد كفتنا مؤونة الخوض فيها، وإنَّما ذكرنا شيئاً منها هنا لنتبرك بذكرها في هذه التعليقات.

---

(١) تاريخ ابن عساكر في ترجمة عبد الله بن جعفر: ج٧، ص٣٣٥.

(٢) المصدر نفسه: ج٧، ص٣٣٣.

**المطلب الثاني: أولاد السَّيّدة زينب عليها السَّلام**

من يمعن النظر في نضال السيدة زينب عليها السَّلام وأدوارها الرسالية العظيمة، يكاد يغفل عن أنَّ لها أبناءً كانت تتحمل مسؤولية رعايتهم وتربيتهم، لتكون العقيلة زينب عليها السَّلام قدوة كاملة متكاملة للمرأة المسلمة الطموحة، والتي تقوم بكلِّ الأعباء والمهام العائلية المنزلية والدينية الاجتماعية، ولنتعرف الآن على ثمرات فؤادها وفلذات كبدها:

**أَوَّلاً: عون بن عبد الله بن جعفر**

كان مع أُمِّه زينب عليها السَّلام في صحبة خاله الإمام الحسين عليه السَّلام، وقد نال شرف الشهادة في كربلاء، وفُجعت به أُمُّه زينب عليها السَّلام إلى جنب فجائعها الأُخرى.

وقد برز إلى ساحة الجهاد، فجعل يقاتل قتال الأبطال وهو يرتجز:

| | |
|---|---|
| **إن تنكروني فأنا ابن جعفر** | **شهيد صدق في الجنان أزهر** |
| **يطير فيها بجناح أخضر** | **كفى بهذا شرفاً في المحشر** |

وتمكن الشاب البطل من قتل ثلاثة فوارس، وثمانية عشر راجلاً، ثمَّ ضربه عبد الله بن قطنة الطائي النبهاني (لعنه الله) بسيفه فقتله[١].

وقد ورد ذكر عون في الزيارة الواردة عن الإمام الصادق عليه السَّلام حيث قال: «**السلام على عون بن عبد الله بن جعفر الطيار في الجنان، حليف الإيمان، ومنازل الأقران،**

---

(١) مقاتل الطالبيين، لأبي الفرج الأصفهاني: ص٦٠. المزار لمحمد بن المشهدي: ص٤٧٣. وفي كتاب بحار الأنوار للمجلسي: ج٤٥، ص٣٤،قال: قتله عبد الله بن بطة الطائي وهكذا في المناقب لابن شهرآشوب: ج٤، ص١٠٦.

**الناصح للرحمن، التالي للمثان، لعن الله قاتله عبد الله بن قطنة النبهاني»**[١].

وكذلك وردت زيارته عن الإمام عليِّ بن الحسين السجاد عليهما السَّلام حيث قال: **«السَّلام عليك يا عون بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، السلام عليك يا بن الناشي في حجر رسول الله، والمقتدي بأخلاق رسول الله، والذاب عن حريم رسول الله صبياً، والذائد عن حرم رسول الله، مباشراً للحتوف، مجاهداً بالسيوف، قبل أن يقوى جسمه، ويشتدّ عظمه، ويبلغ أشدَّه، ما زلت من العلاء منذ يفعت، تطلب الغاية القصوى في الخير منذ ترعرعت حتى رأيت أن تنال الحظ السني في الآخرة ببذل نفسك في سبيل الله، والقتال لأعداء الله، فتقربت والمنايا دانية، وزحفت والنفس مطمئنة طيبة، تلقى بوجهك بوادر السهام، وتباشر بمهجتك حدَّ الحسام، حتى وفدت إلى الله تعالى بأحسن عمل، وأرشد سعي إلى أكرم منقلب، وتلقاك ما أعدّه لك من النعيم المقيم الذي يزيد ولا يبيد، والخير الذي يتجدد ولا ينفد، فصلوات الله عليك تترى تتبع أُخراهن الأُولى»**[٢].

**ثانياً: محمَّد بن عبد الله بن جعفر**

وقد ذكره العديد من الباحثين في حياة السيدة زينب عليها السَّلام، كسبط ابن الجوزي[٣]، وذكره السيد الهاشمي[٤]، والدكتورة بنت الشاطي[٥] والشيخ محمَّد جواد مغنية[٦]، وكتّاب آخرون.

---

(١) المزار لمحمد بن المشهدي، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني: ص٤٧٣.

(٢) بحار الأنوار: ج٩٨.

(٣) تذكرة الخواص: ص١١٠. يراجع: إبصار العين في أنصار الحسين، الشيخ محمد السماوي: ص٤٠. وحياة الإمام الحسين، الشيخ باقر شريف القرشي: ج٣، ص٢٥٩.

(٤) عقيلة بني هاشم، السيد الهاشمي: ص٣٦.

(٥) في كتابها السيدة زينب عليها السَّلام: ص٥٠.

(٦) الشيخ محمد جواد مغنية في كتابه مع بطلة الطف: ص٣٦.

ولكنْ يبدو أنَّ لعبد الله بن جعفر ولداً آخر اسمه محمَّد من زوجة أُخرى هي الخوصاء من بني بكر بن وائل، وقد استشهد مع الإمام الحسين عليه السَّلام في كربلاء، ممَّا سبب الاشتباه عند بعض الباحثين، فعدّوا ولدّي عبد الله بن جعفر الشهيدين بكربلاء ولدي السيدة زينب عليها السَّلام، لكنَّ التحقيق يثبت أنَّ عوناً فقط هو ابن السيدة زينب عليها السَّلام، أمَّا أخوه محمّد فهو ابن ضرتها (الخوصاء)، كما نصَّ على ذلك الباحثون حول شهداء كربلاء[١].

**ثالثاً: عباس**

ذكر المؤرخون اسمه دون الإشارة إلى شيء من حياته وسيرته.

**رابعاً: عليّ**

المعروف بالزينبي، وفي نسله الكثرة والعدد، وفي ذريته الذيل الطويل والسلالة الباقية، وهو كما في (عمدة الطالب) أحد أرجاء آل أبي طالب الثلاثة.

وفي (تاج العروس) مادة (زينب): (والزينبون بطن من ولد عليٍّ الزينبي ابن عبد الله الجواد بن جعفر الطيار، نسبة إلى أُمِّه زينب بنت سيدنا عليٍّ (رضي الله عنه) وأُمُّها فاطمة (رضوان الله تعالى عليها) وولد عليٍّ هذا أحد أرجاء آل أبي طالب الثلاثة)[٢].

ويقول عنه السيد الهاشمي: وأمَّا عليُّ بن عبد الله فهو المعروف بالزينبي، نسبة إلى أُمِّه زينب بنت عليٍّ عليهما السَّلام ذكروا[٣] أنَّه كان ثلاثة في عصر واحد بني عم، يرجعون إلى أصل قريب، كلُّهم يسمَّى علياً، وكلُّهم يصلح للخلافة، وهم: عليُّ بن الحسين بن عليٍّ

(١) زينب الكبرى، جعفر النقدي: ص١٢٧.

(٢) نقل ذلك الأزورقاني من كتاب (المصابيح) لأبي بكر الوراق.

(٣) عقيلة بني هاشم، الهاشمي: ص٤٠.

بن أبي طالب (السجاد)، وعليُّ بن عبد الله بن العباس، وعليُّ بن عبد الله بن جعفر الطيار، ولكنَّ إمام المسلمين وقتئذٍ كان السجاد زين العابدين، يعظمه القريب والبعيد، وتعنوا له كبار المسلمين، وقد تزوج عليُّ بن عبد الله بن جعفر، لبابة بنت عبد الله بن عباس حبر الأُمَّة، وكان نسل عبد الله بن جعفر منه، والسادة الزينبية كثيرون في العراق وفارس ومصر والحجاز والأفغان والهند، وقد جعل الله البركة في نسل هذه السيدة الطاهرة وطيب سلالتها[1].

وقال ابن عنبة: كان عليٌّ الزينبي يكنى أبا الحسن وكان سيداً كريماً[2].

وقد ألّف الحافظ جلال الدين السيوطي (٨٤٩-٩١١هـ) رسالة حول ذرية السيدة زينب عليها السَّلام سماها: (العجاجة الزرنبية في السلالة الزينبية).

### خامساً: أُمُّ كلثوم

أُمُّ كلثوم: وهي البنت الوحيدة كما يبدو للسيدة زينب عليها السَّلام، ولا بُدَّ وأنَّها قد ورثت شمائل أُمِّها، وتحلَّت بمكارم أخلاق أبيها؛ ولذلك تسابق الخاطبون لطلب يدها، وكان من جملتهم معاوية بن أبي سفيان خطبها أيام سلطته لولده يزيد، وكلَّف واليه على المدينة مروان بن الحكم أنْ يخطبها من أبيها ليزيد بن معاوية، فقال أبوها عبد الله بن جعفر: إنَّ أمرها ليس إليَّ، إنَّما هو إلى سيدنا الحسين وهو خالها.

فأُخبر الحسين بذلك، فقال: **«أستخير الله (تعالى)، اللهم وفّق لهذه الجارية رضاك من آل محمّد»**.

(١) عقيلة الطهر والكرم، موسى محمد علي: ص١١٤.

(٢) مجلة (الموسم): ص ٨٥٨.

فلمَّا اجتمع الناس في مسجد رسول الله صلَّى الله عليه وآله أقبل مروان حتى جلس إلى الحسين عليه السَّلام وقال: إنَّ أمير المؤمنين معاوية أمرني بذلك، وأنْ أجعل مهرها حكم أبيها بالغاً ما بلغ، مع صلح ما بين هذين الحيين، مع قضاء دينه، واعلم أنَّ من يغبطكم بيزيد أكثر ممَّن يغبطه بكم، والعجب كيف يستمهر يزيد وهو كفؤ من لا كفؤ له، وبوجهه يستسقى الغمام، فردَّ خيراً يا أبا عبد الله.

فقال الحسين عليه السَّلام: «**الحمد لله الذي اختارنا لنفسه، وارتضانا لدينه، واصطفانا على خلقه**»، ثمَّ قال: «**يا مروان قد قلت فسمعنا، أمَّا قولك: مهرها حكم أبيها بالغاً ما بلغ، فلعمري لو أردنا ذلك ما عدونا سنة رسول الله صلَّى الله عليه وآله في بناته ونسائه وأهل بيته، وهو اثنتا عشرة أوقية يكون أربعمائة وثمانين درهماً، وأمَّا قولك: مع قضاء دين أبيها، فمتى كنَّ نساؤنا يقضين عنّا ديوننا؟ وأمَّا صلح ما بين هذين الحيّين، فإنَّا قوم عاديناكم في الله، ولم نكن نصالحكم للدنيا، فلعمري لقد أعيا النسب فكيف السبب؟ وأمَّا قولك: والعجب كيف يستمهر يزيد؟ فقد استمهر من هو خير من يزيد، ومن أبي زيد، ومن جدّ يزيد! وأمَّا قولك: إنَّ يزيد كفؤ من لا كفؤ له، فمن كان كفؤه قبل اليوم فهؤ كفوه اليوم ما زادته إمارته في الكفاءة شيئاً، وأمَّا قولك: وجهه يستسقى به الغمام: فإنَّما كان ذلك وجه رسول الله صلَّى الله عليه وآله، وأمَّا قولك: من يغبطنا به أكثر ممَّن يغبطه بنا، فإنَّما يغبطنا به أهل الجهل ويغبطه بنا أهل العقل**».

ثمَّ قال عليه السَّلام: «**فاشهدوا جميعاً أنِّي قد زوجت أُمَّ كلثوم بنت عبد الله بن جعفر من ابن عمِّها القاسم بن محمَّد بن جعفر على أربعمائة وثمانين درهماً، وقد نحلتها ضيعتين بالمدينة -أو قال أرضي العقيق- وإنَّ غلتها بالسَّنة ثمانية آلاف دينار، ففيهما لهما غنى إنْ شاء الله تعالى**»، فتغير وجه مروان، وقال:

أردنـــا صـهـركـم لـنجـد وداً قـد أخـلـقـه بـه حـدث الـزمـان
فـلـمّا جـئـتـكـم فـجـبـهـتـمـوني وبـحـتـم بـالـضـمـير مـن الـشـنـان

فأجابه ذكوان مولى بني هاشم:

أمـــاط الله عـنـهـم كـــلَّ رجـس وطـهـرهـم بـذلـك في المـثـاني
فـمالهـم سـواهـم مـن نـظـير ولا كـفـؤ هـنـاك ولا مـداني
أتجـعـل كــلَّ جـبـار عـنـيـد إلى الأخـيـار مـن أهـل الجـنـان[1]

(١) زينب الكبرى، جعفر النقدي: ص١٢٩.

## المبحث الثالث: السيدة زينب بين الإمام الحسين والإمام السجاد عليهم السَّلام

### المطلب الأَوَّل: الإمام الحسين والحوراء زينب عليهما السَّلام

إنَّ روابط المحبَّة، والعلاقات الودّيَّة بين الإخوة والأَخوات كانت من قديم الزمان، حتى صارت يضرب بها المثل في المحبَّة والمودَّة بين اثنين، فيقال: كأنَّهما أخوان، أو كأنَّهما أخ وأُخت.

ولكنَّ العلاقات الودّيَّة وروابط المحبَّة بين الإمام الحسين وبين أُخته السيدة زينب عليهما السَّلام كانت في القمَّة وكانت تمتاز بمزايا، لا نبالغ إذا قلنا، إنَّه لا يوجد ولم يوجد في العالم أَخ وأُخت تربطهما روابط المحبَّة والوداد مثل الإمام الحسين وأُخته السيدة زينب (سلام الله عليهما)، فإنَّ كلاً منهما كان قد ضرب الرقم القياسي في مجال المحبَّة الخالصة، والعلاقات القلبيَّة.

وكيف لا يكونان كذلك وقد تربيا في حجر واحد وتفرعا من شجرة واحدة؟!

ولم تكن تلك العلاقات منبعثة عن عاطفة القرابة فحسب، بل عرف كلُّ واحد منهما ما للآخر من الكرامة، وجلالة القدر وعظم الشأن.

فالسيدة زينب عليها السَّلام تعرف أخاها بأنَّه سيد شباب أهل الجنة وريحانة الرسول صلَّى الله عليه وآله، وتعلم أنَّ الله تعالى قد أثنى على أخيها في آيات كثيرة من القرآن الكريم، كآية المباهلة، وآية المودَّة، وآية التطهير، وسورة (هل أتى)، وغيرها من الآيات والسور.

بالإضافة إلى أنَّها عاشت سنوات مع أخيها في بيت واحد، وشاهدت ما كان يتمتع

به أخوها من مكارم الأخلاق والعبادة والروحانية، وعرفت ما لأخيها من علو المنزلة وسمو الدرجة عند الله عزَّ وجلَّ.

وتعلم أنَّه إمام منصوب من عند الله تعالى، منصوص عليه بالإمامة العظمى والولاية الكبرى من الرسول الأقدس صلَّى الله عليه وآله.

مع توفر شروط الإمامة ولوازمها فيه، كالعصمة، والعلم بجميع أنواع العلوم، وغير ذلك.

وهكذا يعرف الإمام الحسين عليه السَّلام أُخته السَّيدة زينب عليها السَّلام حقَّ المعرفة، ويعلم فصائلها وخصائصها.

ومن هنا يمكن لنا أن نطلع على شيء من مدى الروابط القويَّة بين هذا الأخ العظيم وأُخته المكرمة (سلام الله عليهما).

وقد جاء في التاريخ: أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام كان يقرأ القرآن الكريم – ذات يوم – فدخلت عليه السّيدة زينب عليها السَّلام، فقام من مكانه وهو يحمل القرآن بيده، كلُّ ذلك احتراماً لها.

بل أكثر من ذلك فقد نُقل أنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام زار أُخته الحوراء زينب عليها السَّلام في دارها فوجدها نائمة وقد نشرت الشمس أشعتها على الحوراء الإنسية، فما كان من الإمام الحسين عليه السَّلام الذي يأبى أن يرى أُخته العقيلة تتأذى من حرارة الشمس، إلَّا أنْ يقف إلى جانبها ويرفع رداءه ليظلل لها عن حرارة الشمس، فبقي هذا الموقف مسجلاً في ذاكرة الحوراء تنتظر الحين بعد الآخر لتعيد ذلك المعروف إلى صاحبه، لكنْ شتان ما بين الموقفين، نعم لقد وقفت العقيلة عليها السَّلام على جسد أخيها وظللت له عن حرارة الشمس، لكنْ حينما كان ملقىً على رمضاء كربلاء.

فــواحــدة تحـنـو عـلـيـه تـضـمـه وأُخـــرى عـلـيـه بـالـرداء تظلل
وأُخرى بفيض النحر تصبغ شعرها وأُخـــرى لمـا قـد نـالهـا ليس تعقل

وقفت وهي بتلك الحال تشاهد من تبقى من أهل بيتها وقد أحاط به العتاة والأجلاف من كلِّ جانب، كلٌّ يريد القصاص لما حلَّ بعسكر أبي سفيان يوم بدر، وما كان منها إلَّا أنْ تقف ذات الموقف الذي وقفه أبوها عليه السَّلام في عظيم صبره، ولقد ضارعت الأنبياء في رباطة جأشها وتجلدها ولشدَّة إيمانها وانقطاعها إلى الله، فقد وقفت على جثمان شقيقها الذي مزّقته سيوف الشرك، وهو جثة هامدة بلا رأس، فرمقت السماء بطرفها، وقالت كلمتها الخالدة التي دارت مع الفلك وارتسمت فيه: (اللّهمّ تقبّل منّا هذا القربان)(١).

إنّ الإنسانية تنحني إجلالاً وخضوعاً أمام هذا الإيمان الذي هو السرّ في خلودها وخلود أخيها.

لقد تضرعت بطلة الإسلام بخشوع إلى الله تعالى أن يتقبّل ذلك القربان العظيم الذي هو ريحانة رسول الله صلَّى الله عليه وآله.

فأيّ إيمان يماثل هذا الإيمان؟!

وأيّ تبتّل إلى الله تعالى يضارع هذا التبتّل؟!

لقد أظهرت حفيدة الرسول (صلى الله عليه وآله) بهذه الكلمات الخالدة معاني الوراثة النبويَّة، وأظهرت الواقع الإسلامي، وأنارت السبيل أمام كلِّ مصلح اجتماعي، وأنَّ كلَّ تضحية تُؤدّى للأُمَّة يجب أن تكون خالصة لوجه الله غير مشفوعة بأيِّ غرض من أغراض الدنيا.

(١) الكبريت الأحمر: ج٣، ص١٣، عن الطراز المذهب.

ومـن عظيـم إيمانها الـذي يبهـر العقول، ويحـيّر الألباب أنّهـا أدّت صلاة الشـكر إلى الله تعـالى ليلـة الحـادي عـشر من المحـرّم على مـا وفّـق أخاهـا ووفّقها لخدمة الإسـلام ورفـع كلمـة الله تعالى.

لقد أدّت الشكر في أقسى ليلة وأفجعها، والتي لم تمرّ مثلها على أيِّ أحدٍ من بني الإنسان، فقد أحاطت بها المآسي التي تذوب من هولها الجبال، فالجثث الزواكي من أبناء الرسول صلَّى الله عليه وآله وأصحابهم أمامها غير مغسّلين ولا مكفّنين، وخيام العلويات قد أحرقها الطغاة اللئام، وسلبوا ما على بنات رسول الله صلَّى الله عليه وآله من حُلي، وما عندهنّ من أمتعة وهن يعجنَّ بالبكاء، لا يعرفن ماذا يجري عليهن من الأَسر والعذاب، إلى غير ذلك من المآسي التي أحاطت بحفيدة الرسول صلَّى الله عليه وآله وهي تؤدي صلاة الشكر لله على هذه النعمة التي أضفاها عليها وعلى أخيها.

تدول الدول وتفنى الحضارات وهذا الإيمان العلوي أحقُّ بالبقاء، وأجدر بالخلود على هذا الكوكب الذي نعيش عليه.

**المطلب الثاني: الإمام السجاد وكرائم أهل البيت (عليهم السَّلام)**

لقد تبنّى الإمام السجاد عليه السَّلام وكرائم أهل البيت (عليهن السَّلام) سياسة تذويب الأفكار الفاسدة في أذهان الناس وطرح مناهج الإسلام السليمة والصحيحة، وجعلها محوراً تدور عليه رحى البناء الفكري السليم؛ لتصحيح المناهج الفاسدة التي أَسس عليها الأُمويون قواعد حكمهم وفعلوها بكلِّ طاقتهم وبذلوا لأجلها الأموال الطائلة بغية ترسيخها بشكل دائم لا ينفك أبداً عن أذهان الخواص والعوام، ثابتة ببقاء ملكهم ممَّا دفعهم لإنشاء ترسانة خاصة من هؤلاء الهمج الرعاع الذين انطلت على

عقولهم الحيل الأُمويَّة والأفكار الضالة.

فكانوا يتحركون ويعملون وفق متطلبات السياسة الأُمويَّة ممَّا حدا بالإمام السجاد عليه السَّلام أنْ يبدأ بتأسيس منهجيَّة الدور الذي سيمارسه مع هذه الثلة من الخلق.

لذا فإنَّ من الملحوظ الواضح في خطب الإمام السجاد عليه السَّلام وعقائل أهل البيت (عليهنَّ السَّلام) تأكيدها على محاكاة الضمائر الميتة بغية بث الروح فيها علّها تلتفت إلى جسامة الخطر الذي أحاط بالأُمَّة الإسلاميَّة من الأصنام الأُمويَّة التي أصبحت معبودة الناس دون الحقِّ تعالى. فاتسمت خطبه باحتوائها على عناصر الإيقاظ والتنبيه ومخاطبة الوجدان وبيان الحقائق، فقد وقف الإمام السجاد عليه السَّلام مخاطباً جموع أهل الكوفة حينما وقفوا ينظرون إلى أهل البيت (عليهم السَّلام) مقيدين في الأغلال بقوله: «**أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا عليُّ بن الحسين بن عليٍّ بن أبي طالب، أنا ابن من انتهكت حرمته وانسلبت نعمته وانتهب ماله وسبي عياله، أنا ابن المذبوح بشط الفرات من غير ذحلٍ ولا ترات، أنا ابن من قتل صبراً وكفى بذلك فخراً... إلى أن يقول: بأيّة عين تنظرون إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله إذ يقول لكم: قتلتم عترتي وانتهكتم حرمتي فلستم من أُمَّتي**»[١].

وقد كان لهذه الكلمات المدوية أثر بالغ في نفوس القوم وإلفاتهم إلى جسامة المصاب وعظم الجريمة وفظاعة الخطب؛ ممَّا أدَّى إلى كسر طوق التضليل المعصّب لأذهان الناس، وإبطال الدعاية الأُمويَّة وتعريتها عن الحقيقة والمصداقية؛ ممَّا حدا بالناس الذين آمنوا بقضية أهل البيت (عليهم السَّلام) إلى اتخاذ مواقف صلبة اتجاه الحكم الأُموي آنذاك.

---

(١) مثير الأحزان: ص٩٠.

## المطلب الثالث: السيدة الحوراء عليها السَّلام أُمُّ المصائب

لقد نشأت المصائب مع السيدة زينب عليها السَّلام منذ نعومة أظفارها، والتصقت بها الأهوال التصاق الفصيل بأُمِّه، فحينما بُشر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله بهذه المولودة المباركة سارع إلى بيت بضعته، وهو خائر القوى حزين النفس، فأخذها ودموعه تتبلور على سحنات وجهه الكريم[1]، وضمّها إلى صدره، وجعل يوسعها تقبيلًا، وبهرت سيّدة النساء فاطمة عليها السَّلام من بكاء أبيها، فانبرت قائلةً: «**ما يبكيك يا أبتي؟ لا أبكى الله لك عيناً**»، فأجابها بصوت حزين النبرات: «**يا فاطمة، اعلمي أنَّ هذه البنت بعدي وبعدك سوف تنصبّ عليها المصائب والرزايا**».

وكان كما أخبر صلَّى الله عليه وآله فتواردت عليها المصائب تترى، فالمصاب الأليم والنبأ العظيم الأَوَّل الذي أَلمَّ بها هو فقد جدها المصطفى صلَّى الله عليه وآله، فقد استيقظت عقيلة بني هاشم على النبأ المروّع الذي اهتزت له أرجاء الجزيرة من أقصاها إلى أقصاها، ألا وهو موت جدِّها العظيم والرسول الكريم محمَّد صلَّى الله عليه وآله صاحب الرسالة.

ارتاعت الطفلة عندما سمعت صراخ المفجوعين، واستيقظت على عويل الباكيات، والباكين. ثمَّ هي ترى جدَّها الأعظم، صامتاً لا يتكلم، ساكناً لا يتحرك، والدنيا من حوله في ضجيج وصخب وهياج، وكأنَّما زُلزلت الأرض أو اجتاحها إعصار رهيب.

ارتاعت الحوراء زينب الطفلة الذكية وهي ترى هذه المشاهد المؤلمة وترى جدَّها العزيز الجليل يُحمل على آلة الحدباء ويرحل الرحلة المحتومة على كلِّ إنسان من بني البشر.

---

(١) قد تقدَّم ذكر ذلك تحت عنوان (سيرة النور): ص٧، من البحث.

كـم روّع قلبهـا الخـلي هـذا الموقف وهي تسـمع لحـن المـوت الحزين وتـرى موكب الرحيـل الأليم.

وتعود الطفلة لتجد أُمَّها الزهراء عليها السَّلام حزينة القلب، باكية العين، فاقدة الصبر، مصدعة الكيان، كسيرة الفؤاد.

وتتوالى الأحداث والهموم والكوارث على البيت العلوي الشريف.

وتدور الأيام ثقيلة حزينة والحوادث تتلو بعضها بعضاً... والحوراء زينب عليها السَّلام وإن كانت صغيرة السّن ولكنَّها سلام الله عليها كبيرة العقل، راجحة الإدراك.

تفهم وتعي جميع ما يدور حولها من أحداث... ومفاجآت ومؤامرات نفثت سمومها وكادت نيرانها تحرق البيت الذي طهَّره الله من الرجس ورفعه عالي الأركان بالدين مبجَّلاً بالعالمين.

تأخذنا الأفكار لنتمثل الحوراء زينب عليها السَّلام وهي طفلة لم تودّع عامها السادس، لتشهد موت جدِّها الرسول صلَّى الله عليه وآله وتعي مشاهد الذهول والحزن والجزع، من هذه المصيبة التي ألَمَّت بالمسلمين، تجرُّ وراءها قافلة الهموم والأحداث والوقائع.

فمن سقيفة بني ساعدة وكيف مثَّلت أدوارها إلى أحداث الخلافة وشحنائها، إلى الميراث وفدك ثمَّ تلا هذا كلَّه الوقائع... والحروب إلى جميع الأُمور التي يتفطر القلب لها حزناً وتمزقّ الأفكار جزعاً وتودع النفوس رعباً وتترك فيها الحسرات والألم الدفين.

أجل أتمثل زينب عليها السَّلام في خضم المأساة المروعة تلوذ بأُمِّها الزهراء عليها السَّلام فتجدها ذاهلة حزينة يُغشى عليها حينًا بعد حين، فتنعطف مذعورة لتحتمي بأبيها الإمام فتراه حزيناً كئيباً.

أي طائف من الحزن اجتاح قلب الطفلة المدللة؟

وأي خوف غامض غزا قلبها الخلي وروع روحها البريئة؟

عادت مع أَخويها السِّبطين عليهما السَّلام إلى البيت بيت أبيها أمير المؤمنين عليه السَّلام الذي تراكمت عليه الأحداث المفجعة، وتوالت عليه المصائب المؤلمة، فأحالت زهوه وضياءه إلى ليل موحش مظلم.

لزمت زينب عليها السَّلام فراش أُمِّها الثكلى، التي اعتلّت بعد وفاة أبيها النبيِّ صلَّى الله عليه وآله.. تنظر إليها بإشفاق، بادية اللهفة والخوف على حياة والدتها بضعة الرسول سلام الله عليهما.

يحقُّ للحوراء زينب عليها السَّلام ذلك فأن فقد الأُمِّ جدير بأنْ يجرّع الطفلة مرارة الكأس.

لم يمضِ على وفاة الرسول صلَّى الله عليه وآله ثلاثة أشهر أو ستة أشهر على أَبعد الرّوايات، حتى رحلت الزهراء عليها السَّلام عن هذه الدنيا الفانية.

وتمضي إلى جوار ربِّها راضية مرضية... وتترك تلك الصبية التي روِّعت بمأساة الموت مرتين، وفي أعزّ الناس لديها وأحبّهما إليها جدّها ووالدتها.

ولم تكن تلك الفواجع خاتمة الأحزان بالنسبة لعقيلة الطالبيين، فبعد أن اشتدَّ عودها وبلغت مبلغ النساء، عاد الدهر ليكرَّ عليها بنبأ عظيم تكاد لهوله أنْ تنشقَّ السماء، وتخرّ الجبال، كيف لا وهي ترى أباها الذي ما قامت كلمة لا إله إلَّا الله إلَّا بفضل عنائه الذي دام نصف قرن من الزمان يخرُّ أمامها كما يخرُّ عمد الخيمة، فقد فعل أشقى الأَوَّلين والآخرين فعلته، وصدح جبرئيل بين السماء والأرض بتهدم أركان الهدى وانفصام العروة الوثقى،

عاد أبوها من بيت الله محمولاً ينوء بنفسه وقد ارهقته طبرة المرادي (لعنه الله).

أقبلت نحوه ابنته العقيلة زينب عليها السَّلام حتى جلست معه على فراشه، وأقبلت تندبه وتقول: يا أبتاه من للصغير حتى يكبر؟ ومن للكبير بين الملأ؟ يا أبتاه حزننا عليك طويل، وعبرتنا لا ترقأ، فضجَّ الناس من وراء الحجرة بالبكاء والنحيب، وفاضت دموع أمير المؤمنين عليه السَّلام عند ذلك، وجعل يقلب طرفه وينظر إلى أهل بيته وأولاده، ثمَّ دعا الحسن والحسين عليهما السَّلام وجعل يحضنهما ويقبلهما، ثمَّ أُغمي عليه ساعة طويلة وأفاق، وكذلك كان رسول الله صلَّى الله عليه وآله يغمى عليه ساعة طويلة ويفيق أُخرى، وقبل أنْ يغمض حجة الله على عباده عينيه وتعرج روحه القدسيَّة إلى بارئها، همس في أُذن الحوراء كلاماً عن مصيرها المحتوم بعد أنْ يفارقها أمير المؤمنين عليه السَّلام، يخبر بضعته عن مصيرها ومصير أهل بيتها المحتوم.

ولكي يطمئن أمير المؤمنين عليه السَّلام على فلذة كبده وثمرة فؤاده، لا بُدَّ أنْ يودعها عند من يقوى على تحمّل أنْ تكون زينب عليها السَّلام هي أمانته، ومن لهذه المهمة العظيمة غير قمر العشيرة، نعم إنَّه العباس بن عليٍّ (سلام الله عليهما)، وعندما اطمئن الإمام العظيم على العقدين من الزمن اللذين ستدركهما بعده ابنته، عندها مدد رجليه وأغمض عينيه وفاضت روحه العظيمة إلى بارئها، تشكو إليه ما ألمَّ بها من نكبات وإقصاء دام نصف قرن حتى ساواه بعضهم مع الطلقاء.

جلجل الخطب، ولبى الإمام عليه السَّلام نداء ربِّه، فارتجت الكوفة لهذا النبأ المروع، نبأ وفاة إمام الهدى عليٍّ بن أبي طالب عليه السَّلام.

رحل الإمام إلى جوار ربِّه، وترك زينب عليها السَّلام تندب أباها البطل الهمام، باكية

متفجعة، تتجرع الحسرات، ووقفت عليها السَّلام تذرف العبرات بصمت كئيب، فدورها لم يحن بعد... ينتظرها في كربلاء.

أمسكت قلبها تعتصره في ذعر وهلع، وأصغت في وجوم إلى الضجة، وإلى صيحات الألم واللوعة، المنبعثة من حناجر المؤمنين تعلن... مات أمير المؤمنين.

نرى عقيلة بني هاشم ترعى الإمام الحسن عليهما السَّلام وقد وقف بين الجمع يقول:

**«لقد قبض في هذهِ الليلة رجل لم يسبقه الأَوَّلون بعمل، ولا يدركه الآخرون بعمل، ولقد كان يجاهد مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله فيقيه بنفسه، ولقد كان يوجهه برايته فيكتنفه جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتى يفتح عليه، وما خلف صفراء ولا بيضاء...»**، ثمَّ خنقته العبرة فبكى، وبكى الناس معه[١].

بايع الناس الحسن بن عليٍّ عليهما السَّلام بالخلافة، ثمَّ خرج بالناس حتى نزل المدائن، وبعث قيس بن سعد على مقدمته في اثني عشر ألفاً.

وأقبل معاوية (لعنه الله) في أهل الشام حتى نزل مسكن، فبينما الحسن عليه السَّلام في المدائن، إذ نادى منادٍ في العسكر: (ألا إنَّ قيس بن سعد قد قتل، فانفروا، فنفروا ونهبوا سرادق الحسن عليه السَّلام حتى نازعوه بساطاً كان تحته)[٢].

طمع الناس بمال معاوية، فتخاذلوا عن الإمام الحسن عليه السَّلام واضطر إلى الصلح الذي عقده مع معاوية.

وبعدها رجع إلى مدينة جدِّه الرسول (صلى الله عليه وآله)، بصحبة أخيه الإمام

---

(١) مقاتل الطالبيين، الأصفهاني: ص٦١-٦٢. الإرشاد، المفيد: ج٢، ص٧-٨.

(٢) تاريخ الطبري: ج٦، ص٩٢.



الحسين وأخته العقيلة زينب وزوجها عبد الله بن جعفر (عليهم السَّلام).

كلُّ هذه المواقف والمشاهد، عاشتها عقيلة بني هاشم وفي قلبها ألف غصة، وفي عينيها تترقرق الدمعة.

تتابع تطورات الموقف باهتمام، وتحسب للمستقبل ألف حساب وتنظر إلى أخويها السبطين بلهفة وشفقة.

معاوية يخشى الحسن ومهما خدع الناس بالأموال فالحقُّ دائماً هو الأعلى، إذن لماذا لا يرتاح من هذا الخصم العظيم؟

ووجد المخرج، لقد دسَّ السمَّ للإمام الحسن عليه السَّلام بواسطة زوجته جعدة بنت الأشعث (لعنها الله)، نعم وضعت الخبيثة السمَّ في شربة من لبن، وكان الإمام الحسن عليه السَّلام صائماً، فلمَّا صار وقت الإفطار، قدَّمت إليه جعدة ذلك اللبن المسموم، فشربه الإمام عليه السَّلام، فلمَّا سرى السمُّ في بدنه الشريف وإذا به قد تغيّر لونه، وأحسَّ بأمعائه كأنَّها تقطع بالسكاكين، وتشرح بالموسى، فدعا في هذه الحال بطشت وصار يتقيأ دماً، فدخل عليه جنادة بن أبي أُميَّة، رآه والطشت بين يديه يقذف فيه أحشاءه قطعة بعد قطعة فقال: سيدي هلا عالجت نفسك؟ فقال عليه السَّلام: «**بماذا أعالج الموت؟ لقد سقيت السمَّ ثلاث مرات وهذه الرابعة**».

فلما وصل الخبر إلى الإمام الحسين عليه السَّلام دخل على أخيه فرآه والطشت بين يديه يتقيأ دماً، جلس عنده وضمّه إليه، ثمَّ قال عليه السَّلام: «**أخي أبا محمَّد من الذي سقاك السم؟ ومن أين دهيت؟**»، قال الإمام الحسن عليه السَّلام: «**أخي وما تريد منه؟ دعني أُخاصمه يوم القيامة بين يدي ربِّي، أخي إنَّ الذي قتلني لواحد، ولكنْ لا يوم كيومك أبا**

**عبد الله، يزدلف إليك ثلاثون ألفاً فيقتلونك ويسبون ذراريك»**.

وقال الإمام الحسن للحسين عليهما السَّلام: «**أخي أبا عبد الله بحقي عليك لا تهرق في أمري ملء محجمة دماً، دعني أُخاصمه بين يدي ربِّي يوم القيامة، ولكن يا أخي إذا أنا قضيت نحبي فغسلني وحنطني بفاضل حنوط جدِّي رسول الله صلَّى الله عليه وآله فإنَّه من كافور الجنة، واحملني على سريري إلى حرم جدِّي رسول الله صلَّى الله عليه وآله لأُجدد به عهداً، واعلم يا بن أُمِّ إنَّ القوم سيظنون أنَّكم تريدون دفني عند قبر جدي فيمنعونكم من ذلك، فبحقي عليك يا أخي لا تهرق في أمري ملء محجمه دماً**»(١).

بينما هما في هذا الكلام وإذا بالحنين والأنين خلف الباب، وإذا بالعقيلة زينب عليها السَّلام جاءت لعيادة الحسن عليه السَّلام، التفت الإمام الحسن إلى أخيه الحسين عليهما السَّلام قال: «**أخي أبا عبد الله نحِّ هذا الطشت عنِّي لئلا تراه أُختنا زينب**».

فلمَّا دخلت العقيلة زينب عليها السَّلام وقد وقع بصرها على ذلك الطشت وفيه أحشاء أخيها الإمام الحسن عليه السَّلام، صاحت وا أخاه وا حسناه.

ارتاعت الحوراء زينب عندما رأت أخاها الأكبر يجود بنفسه فوقفت ترمق السبط الكريم وهو يلفظ كبده قطعاً من شدَّة السمِّ، ثمّ لفظ عليه السلام آخر أنفاسه.

تجلدت عليها السَّلام، وكتمت الحسرات، وأخفت الزفرات فزينب البطلة لم تخلق للبكاء والنحيب.

إنَّها رمز الصمود، الإنسانة النبيلة، والمؤمنة الصابرة إنَّها بنت عليٍّ عليه السَّلام، ومن

---

(١) راجع: تاريخ ابن عساكر: ج١٤، ص١٥٦. المعجم الكبير، الطبراني: ج٣، ص٥٠، ح٢٦٥٥. مجمع الزوائد، الهيثمي: ج٩، ص١٨١. وقريب منه في مستدرك الصحيحين، الحاكم النيسابوري: ج٣. كتاب معرفة الصحابة: ص١٨١. كفاية الطالب: ص٤٢٢- ٤٢٣.

بني هاشم الذين هم «القتل لهم عادة وكرامتهم من الله الشهادة».

ولكنَّ فراق الأحبَّة صعب ومرير، عند ذاك أخذ الإمام الحسين عليه السَّلام بتجهيز الإمام الحسن عليهما السَّلام كما أوصاه، فغسّله وكفّنه وحنّطه بفاضل حنوط رسول الله صلَّى الله عليه وآله، وصلَّى عليه ثمَّ وضعه على سريره وأهله يبكون وينتحبون، ولكنْ هل استراح الإمام الحسن عليه السَّلام من كيد هذه الأُمَّة ومن ظلم الناس له؟

شيّع المسلمون، الإمام الحسن عليه السَّلام إلى مثواه الأخير مصحوباً باللوعة والأسف. ورجعت زينب عليها السَّلام إلى البيت الحزين، بعد أن وُسِّد شقيقها الغالي في ملحودة قبره، ورقد الفقيد الراحل إلى جوار أُمِّه الزهراء عليها السَّلام بالبقيع عام (٤٩) هجرية، وهو في الثامنة والأربعين من عمره كما جاء في مقاتل الطالبيين.

# الفصل الثاني

## شرح خطبة السيدة زينب عليها السَّلام في مجلس يزيد

إنّ خطبة السيدة زينب عليها السلام في مجلس يزيد لعنه الله من أهم الوثائق التأريخية التي تبتني عليها قراءة واقعة كربلاء، إذ كأن الحسين عليه السلام وضع علامات ومعالم واضحة وبيّن لحركته من البداية وحتى استشهاده.

لأن حركة سيد الشهداء عليه السلام استثنائية وهي حركة غير طبيعية، فوضع سيد الشهداء عليه السلام معالماً في الطريق لكي لا يحدث تضييع للحقيقة وطمس وإنكار ما حدث في كربلاء من فاجعة قتل أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله.

لذلك يجب أن تصل واقعة كربلاء بدون التحريف والتزييف إلى العالم، كما هو الحال للقرآن الكريم إذ قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نزلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1].

وصل القران مصانا بصيانة إلهية، كذلك فاجعة كربلاء يجب أن تصل إلينا بصيانة ربّانية وحفظ إلهي.

إنّ أحد أدوات التوثيق لواقعة كربلاء والشاهد على ما حدث هناك والحاضر في مسيرة سيد الشهداء عليه السلام، والذي وثّق هذه الحادثة توثيقا من موقع المسؤولية ومن موقع الرعاية للحدث السيّدة زينب الكبرى صلوات الله وسلامه عليها.

والتي بيّنت زيف بني أميّة في خطبتها المباركة، ألقت الخطبة الأولى في سوق الكوفة، وكانت الخطبة الثانية في مجلس يزيد لعنه الله في الشام، وهي خطبة جامعة مانعة.

تبينّ فضل السيدة زينب عليها السلام وعظمتها وإرثها النبوي في هذه الخطبة.

وبيان ما أخذته عن أبيها أمير المؤمنين وأمّها فاطمة سيدة نساء العالمين وأخويها

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة عليهم أفضل الصلاة والسلام.

فمن خلال فقرات هذه الخطبة نرى أنّ السيّدة زينب عليها السلام وضعت النقاط على الحروف، ووضّحت ما ينبغي توضيحه كوثيقة جامعة وكاملة دون أن تترك أي شيء لما حدث في كربلاء مع سيد الشهداء وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام.

وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «**وإنّا لأمراء الكلام، وفينا تنشبت عروقه، وعلينا تهدلت غصونه**»[١].

فقوله عليه السلام: «**إنا لأمراء الكلام**» استعار لفظ الأمراء لنفسه ولأهل بيته عليهم السلام ملاحظة كونهم مالكين لأزمة الكلام يتصرفون فيه تصرف الأمراء في ممالكم.

وقد تنشبت العروق أي علقت وثبتت الأفكار العالية والعلوم السامية عندهم، وقد تدلّت عليهم فأظلتهم[٢].

فرغم الآلام التي مرّت بها سلام الله عليها، وفقد الأحبة والفاجعة المؤلمة التي كانت تشعر بها بعد استشهاد أخيها الحسين عليه السلام، والمصيبة التي نزلت بساحتها، رغم إذ أنّها ترى رأس الحسين عليه السلام بين يدي يزيد بن معاوية وهو يضرب ثنايا أبي عبد الله عليه السلام بالقضيب والخيزران، إلّا أنّها لم تتوقف من فضح يزيد وبني أمية.

فكل تلك الظروف الصعبة والأحداث المؤلمة والعقبات الأليمة إلّا أنّها عليها السلام وضعت النقاط على الحروف وقامت بأداء مسؤوليتها تجاه بيان وكشف حقيقة بني أمية من جهة، ومظلومية سيد الشهداء وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام من جهة أخرى.

---

(١) نهج البلاغة، الشريف الرضي: ج١، ص٣٥٤، ح٢٣٣.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي: ج١٣، ص١٣.

وهذا من الدروس المهمّة التي أكّد عليها أهل البيت عليهم السلام في الصبر والتحمل في أداء المسؤوليات والوظائف.

لأنّ قضيّة الشيعة هو سيد الشهداء عليه السلام، فنحن أصحاب القضية، فحينما يكون الحسين عليه السلام هو أصل القضية علينا أن نكون كالحديد الصلب، وأن لا نتهاون في أداء مسؤوليتنا.

وقال سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام: «**لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقرّ إقرار العبيد**»[١].

لهذا إنّ السيّدة زينب الكبرى عليها السلام، هي المخدّرة التي ما رآها أحد قط ولا سمع صوتها تخرج في مجلس يزيد وتخطب تلك الخطبة الفاضحة لآل أمية لعنهم الله.

ولا يخفى على الباحث أنّ الخطابة عادة تعتمد على أسس مهمة منها:

**الأساس الأول: فن الإلقاء:**

قيل أنّ فن الإلقاء عبارة عن نمط الكلام أو الكتابة، حيث يعتمد على اختيار جيد للكلمات[٢].

ويشار إلى أنّ الكلمات تعدّ أساس اللغة، وبالتالي فإنّ عملية اختيار الكلمات هي جزء مهم للتواصل الفعال، ولذا من المهم اختيار الكلمات بعناية ومعرفة وقت قولها، إذ إنّ الاختيار المناسب للكلمات والإلقاء يساعد الخطيب على خلق تواصل جيد[٣].

---

(١) المجالس السنية في مناقب ومناصب العترة النبويّة، السيد محسن الأمين: ج١، ص٣٧.

(٢) (Meaning of diction).

(٣) (Amanda Carlisle).

إذن فن الإلقاء هو ما يحتوي من محسنات بديعية في الفصاحة والبلاغة والسجع وما إلى ذلك كاستخدام لغة الجسد وغير ذلك، فيكون اليوم بالإشارة والتأثير على الآخرين.

**الأساس الثاني: قوّة النّفس:**

أمّا الأساس الثاني فهو قوة النّفس، إذ يعدّ عبارة عن الامتلاء وعدم التضعضع والضعف أثناء الإلقاء لمواجهة الجمهور والتأثير فيه.

**الأساس الثالث: المادّة العلمية:**

وهذا هو الأساس الأهم، إذ تعدّ المادّة العلمية التي يتم طرحها على المستمع من أساسات الخطابة وفن الإلقاء.

لهذا القادة والحكماء والرؤساء والزعماء يستخدمون عبارات دقيقة ومهمّة أثناء خطاباتهم مع الناس.

وقيل إنّ نبي الله شعيب على نبيّنا وآله وعليه السلام كان خطيباً وقد سمّي بخطيب الأنبياء، حتى انتهت الخطابة إلى نبينا محمد صلى الله عليه واله، حيث قال: «**أعطيت جوامع الكلم وفصل الخطاب**»[١].

فالسيدة زينب عليها السلام من حيث قوة المنطق، ومن حيث فن الخطابة كانت في أعلى مستوياتها إذ هي بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وبنت أمير المؤمنين وفاطمة عليهما السلام وأخت الحسنين عليهم السلام.

وليست خطبتها في الشام فقط، بل حينما خطبت في سوق الكوفة كانت من أروع ما

---

(١) صحيح البخاري: ٢٩٧٧. صحيح مسلم: ٥٢٣.

ورد في كتب التاريخ.

قال بشير بن خزيم الأسدي: نظرت إلى زينب بنت علي عليها السلام يومئذ فلم أر خفرةً – والله – أنطق منها، كأنّها تفرغ عن لسان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد أومأت إلى الناس أن اسكتوا[١].

تلك الخطبة التي جمعت عليهما السلام فيها العبارات الدامغة ضد يزيد وأعوانه لعنهم الله تعالى.

ولا يخفى أنّ خطبتها كانت في سوق الكوفة، وقيل في سوق الأغنام.

فحال بنات رسول الله صلى الله عليه واله على نياق عجاف سبايا مقيدات بالحبال ويدار بهن في الأسواق.

فحينما ننظر إلى كلماتها في خطبتها المباركة إذ في سوق يكثر فيه أصوات البيع والشراء أو الصرف والمواشي وهي واقفة تخطب إذ يقول الرواة: قد أومأت إلى الناس أن اسكتوا. فارتدّت الأنفاس، وسكنت الأجراس[٢].

فبإشارة واحدة أسكتت السوق بأكمله وقد انقطع أنفاس الناس والحيوانات في السوق والأعجب من ذلك أن سكنت الأجراس، والمقصود هي الأجراس التي تعلّق على أعناق الدواب.

فإسكات هذه المخلوقات بإشارة واحدة ما هو إلاّ من الكرامة التي أعطاها الله للسيدة زينب عليها السلام.

---

(١) اللهوف، ابن طاووس: ص١٩٢.

(٢) اللهوف: ص١٩٣.

فالسيدة زينب عليها السلام من حيث فن الإلقاء فهذه عظمتها، ومن حيث الثقة بالنفس فهي امرأة عمرها (٥٦) سنة بين رجال وهي الخفرة، مصابة بأخيها الحسين وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام، وما أدراك ما هذه المصيبة وما أعظمها، وقد أصيبت بأولادها وإخوانها عليهم السلام، ومتعبة من طول الطريق إذ كانت تمشي على الرمال في الصحاري والبراري، ومربّطة بالحبال.

مع كل هذه الظروف الصعبة لكنها انتظم البيان وخرج من فمها، وهذا ما يبيّن عظمة هذه المرأة ومنزلتها الرفيعة، وأثبتت أنّها بنت أمير المؤمنين عليهما السلام.

فهي سلام الله عليهم وضعت النقاط على الحروف وعرّت البلاط الأموية وفضحت المجرم والقاتل في مجلس يزيد، وبيّنت أسباب قتل سيد الشهداء عليه السلام.

إذ قامت بتحليل شخصية يزيد بن معاوية لعنهما الله بشكل دقيق أمام الحضور، وتوضيح ما الذي أوصله لارتكاب هذه الجريمة البشعة، فوضعت عليها السلام العصا في عجلة هذه المسلة.

فأي شخص يستطيع أن يقف تلك المواقف الصعبة، وينطق بالكلمات والعبارات التي أثبتت ووثّقت المسيرة الحسينية وأعلنت كفر يزيد وخروجه من الدين بعد قتله سبط رسول الله صلى الله عليه وآله.

فهي عليها السلام عن موقع مسؤولية وشاهدة عيان وأمانة نقل، وهي بنت النبي وأمّها الزهراء فاطمة عليها السلام وأبوها علي وأخويها الحسن والحسين عليهم السلام، إذ حدّدت القاتل وشخّصته.

فهناك نقاط ثلاث تكمن في خطبة السيدة زينب عليها السلام قبل الدخول في شرح

خطبتها المباركة وهي كالآتي:

النقطة الأولى: إنّ السيدة زينب عليها السلام قيّمت يزيد بن معاوية لعنه الله وكيف تدرّج حتى اتّخذ قرار قتل سيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي عليهما السلام، فقام بالتصفية الجسدية لسيد الشهداء وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام.

وهذا تحليل شخصي دقيق قامت به السيدة الجليلة زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين عليهم السلام.

إذ كيف ينحدر الإنسان ويتسافل ليتّخذ هكذا قرار ويقدم على مثل هذه الموبقة.

فقالت عليها السلام: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾[1].

فبيّنت سلام الله عليها أنّ يزيد استهزأ بآيات الله تعالى وذلك نتيجة لانحطاطه الديني والأخلاقي إذ لا حدود له في التعامل مع الحسين عليه السلام.

فإنّها تخاطب يزيد إذ استخف بالمعاصي حتى ارتكب هذه الجريمة الكبرى.

ثم تشير في خطبتها إلى نقطة مهمّة وهي تحديد الغلبة والنصر.

فإنّنا في بعض الأحيان نربط بين الغلبة والنصر، وبين الحق والحقيقة.

فإنّ الثقافة العامّة ترى أنّ المنتصر هو صاحب الحق، والمهزوم هو على باطل.

مع أنّ الحق في عقيدتنا يثبت بالبرهان، والنصر يكون بالأسباب، وعلينا أن نثبت الوقائع والحقائق بالأدلة والبراهين قبل اتخاذ أي نتيجة وقرار.

---

(١) سورة الروم، الآية: ١٠.

فالسيدة زينب عليها السلام تقول ليزيد بن معاوية: «**أَظَنَنْتَ يَا يَزِيدُ حِينَ أَخَذْتَ عَلَيْنَا أَقْطَارَ الْأَرْضِ، وَضَيَّقْتَ عَلَيْنَا آفَاقَ السَّمَاءِ، فَأَصْبَحْنَا لَكَ فِي إِسَارٍ، نُسَاقُ إِلَيْكَ سَوْقاً فِي قِطَارٍ، وَأَنْتَ عَلَيْنَا ذُو اقْتِدَارٍ، أَنَّ بِنَا مِنَ اللهِ هَوَاناً**».

تخاطبه بسؤال واضح جدّا، وهو هل تعتقد أنّ الحسين وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام ليسوا أولياء الله وأحبّاءه؟ وهل تظن أنّ سبي عياله ونساءه عليه السلام هو نصر لك وغلبة.

ثمّ تقول: «**وَعَلَيْكَ مِنْهُ كَرَامَةً وَامْتِنَاناً**».

وهل أنّك صاحب الكرامة عند الله؟

«**وَأَنَّ ذَلِكَ لِعِظَمِ خَطَرِكَ وَجَلَالَةِ قَدْرِكَ؟؟ فَمَهْلًا مَهْلًا لَا تَطِشْ جَهْلًا**».

فتخاطب يزيد وتقول أنّه قد أخطأ في حساباته، فالقضية ليس بهذه الطريقة والموضوع لا يكون هكذا.

ثم تخاطبه وتقول: «**أَمِنَ الْعَدْلِ يَا ابْنَ الطُّلَقَاءِ تَخْدِيرُكَ حَرَائِرَكَ وَسَوْقُكَ بَنَاتِ رَسُولِ اللهِ سَبَايَا**»؟؟

تذكّره بوضعه وموضعه من حيث هذه الخارطة الدينية والإلهية وتحجّمه بقولها عليها السلام (يا بن الطلقاء)، وهم المعروفون حينما أخلى سبيلهم النبي صلى الله عليه وآله بعد فتح مكّة.

وفي آخر خطبتها المباركة تقول السيدة زينب عليها السلام: «ولئن جَرَّت عليَّ الدواهي مُخاطبتَك، إنّي لأستصغرُ قَدْرَك، وأستَعظمُ تَقريعك، واستكبر توبيخك»!!

فهي تصغّر حجمه وتجعله أدنى من أن تتكلّم معه.

أمّا النقطة الأخرى في خطبتها هي توثيق الأحداث التي جرت على سيد الشهداء وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام.

فكثير من العلماء حرّفوا قضية الطف وما جرى على سيد الشهداء عليه السلام في كربلاء، لكن هذه وثيقة حيّة وشاهد عيان مأمون مثل السيدة زينب عليها السلام إذ تحدّثت في مجلس الطاغية ما رأت وما سمعت في كربلاء وما جرى في ظهيرة عاشوراء.

فمن الأمور التي تم تحريفها هو مصيبة السبي، فمنهم من يقول أنّ السبي لم يحدث أبداً، فلا يوجد أي شيء تحت مسمى السبي، فالسيدة زينب عليها السلام تعلن وتوثّق في خطبتها المباركة أنّ يزيد بعد أن قتل سيد الشهداء عليه السلام وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام قام بسبي نسائه وذراريه وعياله.

فخارطة الطف تشير إلى مصيبة السبي الذي حصل آنذاك، ومن الشواهد والأدلة والبراهين التي تدل على السبي وجود قبور أهل البيت عليهم السلام في المسير المؤدي إلى الشام، بل إنّ قبر السيدة رقية عليها السلام في الشام جنب الجامع الأموي هو خير دليل على أشهر علامة على وقوع السبي، وما قام به يزيد هو إيذاء لعيال أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وقد خاطبت يزيد بقولها: «**أَمِن العدلِ، يا ابنَ الطُّلَقاء، تخديرُك حَرائرَكَ وإماءَك وسَوقُك بناتِ رسول الله سبايا تَحْدُو بهنّ الأعداء من بلدٍ إلى بلد، ويستشرفهنّ أهلُ المناهل والمناقل**»، أي أهل القلاع وأهل الآبار.

وقولها عليها السلام: «**ويتصفّح وجوهَهنّ القريب والبعيد والدنيّ والشريف! قد هُتِكت سُتورُهنّ، وأُبدِيت وجوهُهنّ؟! ليس معهنّ مِن رجالهنّ وَليّ، ولا مِن حُماتِهنّ**

**حَمِيّ...، مُنتَحياً على ثنايا أبي عبدالله سيّد شباب أهل الجنّة تنكتها بِمِخْصَرتك»**.

وهذه أيضا توثق حدث آخر، إذ يقولون أنّ رأس الحسين عليه السلام لم يصل إلى دمشق، لكنّ السيدة زينب عليها السلام تصرّح في خطبتها ليس فقط أنّ رأس الحسين عليه السلام وصل إلى الشام بل قام يزيد لعنه الله بضرب الرأس وتوهينه، وكان ينشد أمام الرأس الشريف وهو مخمور إذ يقول:

**يــا حــبــذا بــــردك في الـيـديـن ولــونــك الأحمـــر في الخـديـن**
**كــأنـــه بــــات بـمـجـسـديـن شفيت منك النفس يا حسين**[1]

وبيده القضيب يضرب أسنان الحسين عليه السلام حتى تكسّرت أسنانه عليه السلام، ألم يكن سيّد الشهداء عليه السلام حبيب رسول الله صلى الله عليه وآله، ألم يقول رسول الله صلى الله عليه وآله في حقّه: «**حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسينا حسين سبط من الأسباط**»[2].

تقول أمّ سلمة: قال لي نبي الله: اجلسي بالباب فلا يلج علي أحد فجاءه الحسين وهو وضيف فذهبت تناوله فسبقها فدخل.

قالت: فلما طال علي خفت أن يكون قد وجد علي فتطلعت من الباب فإذا في كف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) شيء يقلبه، والصبي نائم على بطنه ودموعه تسيل.

فلما أمرني أن أدخل قلت: يا رسول الله، إن ابنك جاء فذهبت أتناوله فسبقني، فلما طال علي فتطلعت من الباب فرأيتك تقلب شيئا في كفك والصبي نائم على بطنك

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٤٥، ص١٢٤.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٤٣، ص٢٧١.

ودموعك تسيل!

فقال: إن جبريل أتاني بالتربة التي يقتل عليها، وأخبرني أن أمتي يقتلونه[١].

فحينما نتصوّر أجواء ذلك المجلس الرهيب، ثمَّ معجزة السَّيدة زينب الكبرى في موقفها الجريء!

بالله عليك! أمَا تتعجب من سيدة أسيرة تخاطب ذلك الطاغوت بذلك الخطاب؟

وتتحداه تحدياً لا تنقضي عجائبه؟

ولا تهاب الحرس المسلح الذي ينفذ الأوامر بكلِّ سرعة وبدون أيِّ تأمل أو تعقل؟!

وأعجب من ذلك سكوت يزيد أمام ذلك الموقف مع قدرته وإمكاناته؟

وكأنَّه عاجز لا يستطيع أنْ يقول أو يفعل شيئاً!

أليس من العجيب أنَّ يزيد – وهو طاغوت زمانه، وفرعون عصره – لم يستطع أو لم يتجرأ على أنْ يردَّ على السيدة زينب عليها السَّلام كلامها، بل يشعر بالعجز والضعف عن مقاومة السيدة زينب عليها السَّلام، ويكتفي بقراءة قول الشاعر:

(يا صيحة تحمد من صوائح)!

فما معنى هذا البيت في هذا المقام؟!

وما المناسبة بين هذا البيت وبين كلمات خطبة السيدة زينب عليها السَّلام؟

فهل كانت حرفة السيدة زينب عليها السَّلام النياحة حتى ينطبق عليها قول يزيد: (ما

---

(١) المصنف لابن أبي شيبه: ص١٥، ص٩٧. الطبقات الكبرى: ص٤٤. المعجم الكبير للطبراني: ص٢٨٢. دلائل النبوة للبيهقي: ج٦، ص٤٦٨. مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ج١، ص١٥٨. زينة المجالس: ص٣٥٠.

أهون النوح على النوائح؟).

وما يدرينا مدى ندم يزيد بن معاوية من مضاعفات جرائمه التي ارتكبها، وخاصة تسيير آل رسول الله عليهم السَّلام من العراق إلى الشام.

فإنَّه - بالقطع واليقين - ما كان يتصور أنَّ سيدة أسيرة سوف تغمسه في بحار الخزي والعار، فلا يستطيع يزيد أنْ يغسل عن نفسه تلك الوصمات.. إلى يوم القيامة.

وتكشف الغطاء عن هوية يزيد، وترفع الستار عن ماهيته وأصله، وحسبه ونسبه، وسوابقه ولواحقه، وتخاطبه بكلِّ تحقير، وتقرع كلماتها مسامع يزيد، وكأنَّها مطرقة كهربائية، ترتج منها جميع أعصابه، فيعجز عن كلِّ مقاومة!!

والآن إليك شرحاً موجزاً لبعض كلمات هذه الخطبة الحماسية الملتهبة:

(الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على جدِّي سيد المرسلين).

افتتحت كلامها بحمد الله ربِّ العالمين، ثمَّ الصلاة على جدِّها سيد المرسلين، فهي - بهذه الجملة - عرفت نفسها للحاضرين أنَّها حفيدة رسول الله سيد المرسلين صلَّى الله عليه وآله، لكي يعرف الحاضرون أنَّ هذه العائلة المسبية الأَسيرة هي من ذراري رسول الله، لا من بلاد الكفر والشرك، ثم قرأت السَّيدة هذه الآية:

(صدق الله سبحانه، كذلك يقول: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾)[1].

وما أروع الاستشهاد بها، وخاصةً في مقدمة خطبتها!!

(١) سورة الروم، الآية: ١٠.

وعاقبة كلِّ شيء: آخره، أي: ثمَّ كان آخر أمر الذين أساؤوا إلى نفوسهم – بالكفر بالله وتكذيب رسله، وارتكاب معاصيه – السوأى، أي: الصفة التي تسوء صاحبها إذا أدركته، وهي عذاب النار.

﴿أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي: بسبب تراكم الذنوب والمعاصي في ملف أعمالهم حصل منهم التكذيب بآيات الله والحقائق الثابتة، وظهر منهم الاستهزاء بها وبالمقدسات الدينيَّة.

وهي عليها السَّلام تشير بكلامها هذا إلى تلك الأبيات التي قالها يزيد:

**لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل**[1]

ومعنى هذا البيت من الشعر: أنَّ بني هاشم – والمقصود من بني هاشم: هو رسول الله، لعب بالملك باسم النبوَّة والرسالة، والحال أنَّه لم ينزل عليه وحي من السماء، ولا جاءه خبر من عند الله تعالى.

فتراه ينكر النبوة والقرآن والوحي!! وهل الكفر والزندقة إلَّا هذا؟!

ثمَّ إنَّ بعض الناس – بسبب أفكارهم المحدودة – يتصورون – خطأً – أنَّ الانتصار في الحرب يعتبر دليلاً على أنَّهم على حقٍّ، وعلى قربهم من الله تعالى، فتستولي عليهم نشوة الانتصار والظفر، ويشملهم الكبرياء والتجبر بسبب التغلب على خصومهم.

ولكنَّ السيدة زينب الكبرى عليها السَّلام فنَّدت هذه الفكرة الزائفة، وخاطبت الطاغية يزيد باسمه الصريح، ولم تخاطبه بكلمة: «**أيها الخليفة**» أو «**يا أمير المؤمنين**» وأمثالهما من كلمات الاحترام.

(١) الاحتجاج، الشيخ الطبرسي: ج٢، ص٣٤.

نعم، خاطبته باسمه، وكأنَّها تصرح بعدم اعترافها بخلافة ذلك الرجس، فقالت:

(أظننت - يا يزيد - حين أخذت علينا أقطار الأرض وضيقت علينا آفاق السماء، فأصبحنا لك في أسار، نساق إليك سوقاً في قطار، وأنت علينا ذو اقتدار، أنَّ بنا من الله هواناً، وعليك منه كرامة وامتناناً؟!).

تصف السَّيدة زينب عليها السَّلام حالها، وأحوال من معها من العائلة المكرمة، أنَّهم كانوا في أشدّ الضيق، كالإنسان الذي أخذوا عليه، أي: منعوه وحاصروه من جميع الجوانب والجهات، بحيث لا يستطيع الخروج والتخلص من الأزمة.

وبعد هذا التضييق والتشديد، والمنع والحبس «**أصبحنا نساق**» مثل الأُسارى الذين يأتون بهم من بلاد الكفر عند فتحها.

«**سوقاً في قطار**» يقال - ولا مناقشة في الأمثال -: «**قطار الإبل**» أي: عدد من الإبل على نسق واحد وفي طابور طويل، وقد قرأنا أنَّ جميع أفراد العائلة ومعهم الإمام زين العابدين والسيدة زينب عليهما السَّلام كانوا مربوطين ومكتوفين بحبل واحد!

«**وأنت علينا ذو اقتدار**» أي: نحن في حالة الضعف وأنت في حالة القدرة، «**أنَّ بنا من الله هواناً، وعليك منه كرامة وامتناناً؟!**».

أي: أظننت - لَمَّا رأيتنا مغلوبين، ووجدت الغلبة والظفر لنفسك - أنَّ ليس لنا جاه ومنزلة عند الله، لأنَّنا مغلوبون؟!! وظننت أنَّ لك عند الله جاهاً وكرامة لأنَّك غلبتنا وظفرت بنا، وقتلت رجالنا، وسبيت نساءنا؟!!

«و» ظننت: «**أنَّ ذلك لعظم خطرك؟**».

أي: لعلو منزلتك.

«**وجلالة قدرك**» عند الله تعالى؟!

وعلى أساس هذا الظن الخاطئ الذي «**لا يغني من الحق شيئاً**»، و«**إنَّ بعض الظنِّ إثم**»، استولت عليك نشوة الانتصار.

«**فشمخت بأنفك**» يقال: شمخ بأنفه: أي رفع أنفه عزّاً وتكبراً.

«**ونظرت في عطفك**» العطف – بكسر العين –: جانب البدن، والإنسان المعجب بنفسه ينظر إلى جسمه وإلى ملابسه بنوع من الأنانية وحبِّ الذات والغرور.

«**تضرب أصدريك فرحاً**» الأصدران: عرقان تحت الصدغين، وضرب أصدريه: أي: حرك رأسه – بكيفية خاصة – تدل على شدَّة الفرح والإعجاب بالنفس.. إزاء ما حققه من انتصار موهوم.

«**وتنفض مذرويك مرحاً**» يقال: جاء فلان ينفض مذرويه، إذا جاء باغياً يهدد الآخرين.

هذا ما ذكره اللغويون، ولكنَّ الظاهر أنَّ معنى «**ينفض مذرويه**» أي يهز إليتيه، وهو نوع من حركات الرقص عند المطربين حينما تأخذهم حالة الطرب والخفة.

«**حين رأيت الدنيا لك مستوسقة**»، أي: مجتمعة.

«**والأُمور لديك متسقة**» أي: منتظمة، بمعنى: أنَّك رأيت الأُمور على ما تحبُّ وترضى، وعلى ما يرام بالنسبة إليك، فكلُّ شيء يجري كما تريد.

«**وحين صفى لك ملكنا، وخلص لك سلطاننا**» أي: ومن أسباب فرحك، وقيامك بالحركات الطائشة التي تدلُّ على شدَّة سرورك، أنَّك رأيت من نفسك ملكاً وسلطاناً قد نجح في خطته التي رسمها لإبادة منافسه، وأَسر نسائه.

لكن.. اعلم أيها المغرور أنَّ هذه القدرة والمكانة التي اغتصبتها – وهي الخلافة – هي لنا أساساً، لأنَّ يزيد كان يحكم باسم خلافة رسول الله صلَّى الله عليه وآله.

ومن الواضح أنَّ خلافة رسول الله صلَّى الله عليه وآله لها موارد خاصة، وأنَّ خلفاء رسول الله أفراد معينون، منصوص عليهم بالخلافة، وهم: الإمام عليُّ بن أبي طالب، والأئمة الأحد عشر من ولده (عليهم السَّلام)، ولكن الآن.. صارت تلك القدرة والسُّلطة بيد يزيد!!

بعد هذه المقدمة والتمهيد قالت: «**فمهلاً مهلاً**»

يقال – للمسرع في مشيه، أو المتفرد برأيه –: مهلاً، أو: على مهلك، أي: أمهل، ولا تسرع، أي: ليس الأمر كما تعتقد أو كما تظن، أو: ليس هذا الإسراع في العمل صحيحاً منك، فلا تعجل حتى نبين لك حقيقة الأمر.

«**لا تطش جهلاً**» طاش فلان: أخذه الغرور وفقد اتزانه، فصار غير ناضج في تصرفاته.

أي: يا يزيد! لا تطش.. بسبب جهلك بالحقائق، وخلطك بين المفاهيم والقيم، والاغترار بالظواهر.

«أنسيت قول الله (عزَّ وجلَّ): ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[1]؟!!.

نملي: أي نطيل لهم المدَّة والمجال، أو نطيل أعمارهم ونجعل الساحة مفتوحة أمامهم «**خير لأنفسهم**»، بل: إنَّما نطيل أعمارهم ومدَّة سلطتهم وحكومتهم.. لتكون عاقبة أمرهم هي ازدياد الإثم والمعاصي في ملف أعمالهم، ولهم عذاب مهين، أي: يجزيهم – في

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٨.

جهنم، تعذيباً ممزوجاً مع الإهانة والتحقير.

ثمَّ خاطبته وذكرته بأصله السافل، ونسبه المخزي، فقالت:

«**أمن العدل يا بن الطلقاء**» وهذه الكلمة إشارة إلى ما حدث يوم فتح مكة، فإنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله لمَّا فتح مكَّة – وصارت تحت سلطته – كان بإمكانه أنْ يقتلهم لما صدرت منهم من مواقف عدائيَّة وحروب طاحنة ومتتالية ضدَّ النبيِّ الكريم – بالذات – وضدَّ المسلمين بصورة عامَّة، لكنَّه رغم كلِّ ذلك.. التفت إليهم وقال لهم:

«**يا معاشر قريش! ما ترون أنِّي فاعل بكم؟**»، قالوا: «**خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم**»، فقال لهم: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**»[١].

وكان فيهم: معاوية وأبو سفيان.

ويزيد هو ابن معاوية، وحفيد أبي سفيان، ويطلق عليه (ابن الطلقاء)، إذ قد يستعمل ضمير الجمع في مورد التثنية.

أمَّا معنى كلمة «**يا بن الطلقاء**» فالطلقاء – جمع طليق –: وهو الأسير الذي أُطلق من أسره، وخُلي سبيله.

إنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله فتح مكَّة، فصارت البلدة ومن فيها تحت سلطته وقدرته، وكان بإمكانه أنْ ينتقم منهم أشدَّ انتقام، وخاصة من أبي سفيان الذي كان يؤجج نار الفتن، ويثير الناس ضدَّ رسول الله، ويقود الجيوش والعساكر لمحاربة النبيِّ والمسلمين، كما حدث ذلك يوم بدر وأُحد، وحنين والأحزاب، وهكذا ابنه معاوية «**الذي كان على دين أبيه**»، ولكنَّ الرسول الكريم أطلقهما وخلى سبيلهما في من أطلقهم.

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، طبع لبنان، ١٩٧٥م: ج٤، ص٤١. بحار الأنوار، الشيخ المجلسي: ج٢١، ص١٠٦.

قال الله تعالى: ﴿فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾[1].

«**فإمَّا منَّاَ بعد**» أي: إمَّا أنْ تمنوا عليهم منّاً بعد أنْ تأسروهم، أي: تحسنوا إليهم فتطلبوا منهم دفع شيء من المال إزاء إطلاقكم سراحهم.

وكان رسول الله صلَّى الله عليه وآله مخيراً بين ضرب أعناقهم وبين المنِّ والفداء، فاختار الرسول الكريم المنَّ وأطلقهم بلا فداء ولا عوض.

والظاهر أنَّ السَّيدة زينب عليها السَّلام تقصد من كلمة «**يا بن الطلقاء**» واحداً من معنيين:

المعنى الأوَّل: أنْ تذكر يزيد بأنَّه ابن الطليقين الذين أطلقهما رسول الله صلَّى الله عليه وآله مع أهل مكَّة، وكأنَّهم عبيد، فتكون الجملة تذكيراً له بسوء سوابقه المخزية وملف والده وجدِّه!

والمعنى الثاني: أنْ تذكر يزيد بالإحسان الذي بذله رسول الله صلَّى الله عليه وآله لأسلاف يزيد حين أطلقهم، فقالت: «**أمن العدل**» أي: هل هذا جزاء إحسان رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) مع أسلافك.. أنْ تتعامل مع حفيدات الرسول هذا التعامل السيئ؟!

ولعلَّ السَّيّدة زينب عليها السَّلام قصدت المعنيين معاً.

ومن الواضح أنَّها لا تقصد - من كلامها هذا - السؤال والاستفهام، بل تقصد توبيخ يزيد على سلوكه القبيح، ونفسيته المنحطة، وتنكر عليه تعامله السيئ، وتعلن له أنَّه بعيد - كلَّ البُعد - عن أوَّليات الفطرة البشرية، وهي جزاء الإحسان بالإحسان!!

(١) سورة محمد، الآية: ٤.

«**تخديرك حرائرك وإماءك**» يقال: خدر البنت: ألزمها الخدر، أي: أقامها وراء الستر. الحرائر – جمع حرة –: نقيض الأَمة[١].

«**وسوقك بنات رسول الله سبايا**»، السوق: يقال: ساق الماشية يسوقها سوقاً: حثَّها على السير من خلف[٢] وذلك يعني: الحثّ على السير من الوراء مع عدم الاحترام.

أقول: لا يرجى من يزيد العدل والعدالة، ولكنَّه لَّما ادَّعى الخلافة لنفسه، كان المفروض والمتوقع منه أنْ يكون عادلاً.

ولهذا خاطبته السيدة زينب عليها السَّلام بقولها: أمن العدل أنْ تجعل جواريك والنساء الحرائر – الساكنات في قصرك – وراء الخدر، وتسوق بنات الرسالة وعقائل النبوَّة، ومخدرات الوحي سبايا؟!

«**قد هتكت ستورهن، وأبديت وجوههن**»، فبعد أنْ كنَّ مخدرات مستورات، لا يرى أحد لهن ظلاً، وإذا بهن يرين أنفسهن أمام أنظار الرجال الأجانب، وبعد أنْ كنَّ محجبات.. وإذا بالأعداء قد سلبوهن ما كنَّ يسترن به وجوههن.. من البراقع والمقانع!

«**تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد**» أي: يسوقهن الأعداء من كربلاء إلى الكوفة، ومنها إلى الشام، ويمرّون بهن على البلاد التي في طريق الشام.

وحينما كان يمرُّ موكبهن على البلاد والقرى والأرياف، كان الناس – على اختلاف طبقاتهم – يخرجون للتفرج عليهن، وأحياناً كانوا يصعدون على سطوح دورهم للتفرج عليهن، ولهذا قالت السيدة:

---

(١) لسان العرب لابن منظور.

(٢) أقرب الموارد للشرتوني.

«**ويستشرفهن أهل المناقل، ويتبرزن لأهل المناهل**»، المناقل - جمع منقل - وهو الطريق إلى الجبل، والمناهل - جمع منهل -: وهو الماء الذي ينزل عنده والمقصود: المنازل التي في طريق المسافرين، للتزود بالماء أو الاستراحة.

«**ويتصفح وجوههن القريب والبعيد**»، يتصفح: أي يتأمل وجوههن لينظر إلى ملامحهن!!

«**والشريف والوضيع، والدنيء والرفيع**»، والحال أنَّه «**ليس معهن من رجالهن ولي، ولا من حماتهن حمي**»، عائلة محترمة، وليس معهن من رجالهن أحد يشرف على شؤونهن ويحرسهن ويحميهن من الأخطار والأشرار، لأنَّ رجالهن قد قُتلوا بأجمعهم، ولم يبقَ منهم سوى الإمام زين العابدين عليٍّ بن الحسين عليهما السَّلام.

كلُّ هذه الجرائم التي صدرت منك، وبأمرك كانت «**عتواً منك على الله**»، العتو: هو التكبر.

«**وجحوداً لرسول الله**»، الجحود: هو الإنكار مع العلم أنَّ هذا هو الواقع والحقّ، قال تعالى ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾[1].

«**ودفعاً لما جاء به من عند الله**»،الدفع: الإزالة والإبادة والرد.

أي: قمت بهذه الأعمال لأجل القضاء على الإسلام، وعلى ما جاء به رسول الله صلَّى الله عليه وآله من عند الله تعالى.

«**ولا غرو منك، ولا عجب من فعلك**»، لا غرو: لا عجب.

إنَّ السَّيّدة زينب عليها السَّلام تعتبر تلك الجرائم - التي صدرت من يزيد أُموراً طبيعية وظواهر غير عجيبة، فـ «**كلُّ إناء بالذي فيه ينضح**».

(١) سورة النمل، الآية: ١٤.

وإنَّ الآثار السلبية لعامل - بل عوامل - الوراثة، والاستمرار على شرب الخمر والفحشاء والفجور والعيش في أحضان العاهرات، كلُّها أسباب كان لها دورها في إيجاد هذه النتائج والعواقب السيئة للطاغية يزيد.

«**وأنى ترتجى مراقبة ابن من لفظ فوه أكباد الشهداء، ونبت لحمه بدماء السعداء؟**»، أي: كيف ومتى يتوقع الخوف من الله تعالى.. من ابن من رمت من فمها أكباد الشهداء الأبرياء؟

هذه الكلمة إشارةٌ إلى ما حدث في واقعة أُحد، وإلى مقتل سيدنا حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء وعمّ رسول الله (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) حينما جاءت هند – أُمُّ معاوية – وجدَّة يزيد – وشقَّت بطن سيدنا حمزة، وأخرجت كبده وأخذت قطعة من كبده، ووضعتها في فمها وعضتها بأسنانها وحاولت أنْ تأكلها، بسبب الحقد المتأجج في صدرها، ولكنَّ الله تعالى أبى أنْ تدخل قطعة من كبد سيدنا حمزة في جوف تلك المرأة الساقطة، فانقلبت تلك القطعة صلبةً كالحجر، فلم تؤثر أسنانها في الكبد، فلفظتها، ورمتها من فمها، فاكتسبت بذلك لقب (آكلة الأكباد)!!

ويزيد: هو حفيد هكذا امرأة حقودة، وحقده على الدين وارتكابه للجرائم الكبيرة ليس بشيء جديد!!

«**ونصب الحرب لسيد الأنبياء**»، ثمَّ إنَّ أرباب التواريخ ذكروا أنَّ أبا سفيان هو الذي كان يجهز الجيوش في مكَّة، ويخرج لحرب رسول الله (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) وقتال المسلمين، حينما كان النبيُّ الكريم في المدينة المنورة.

«**وجمع الأحزاب**»، إنَّ أبا سفيان هو الذي جمع العشائر والقبائل الكثيرة.. من المشركين واليهود والنصارى وغيرهم، وأمر بنفير عام وشامل لمختلف الأعمار والديانات، وخرج

بجيش جرار كالسيل الزاحف، للقضاء على الرسول العظيم ومن معه من المسلمين، في واقعة الأحزاب التي عرفت – فيما بعد – بـ«**غزوة الخندق**».

«**وشهر الحراب، وهزَّ السيوف في وجه رسول الله (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم)**»، الحراب – جمع حربة ـ: وهي آلة قصيرة من الحديد، محددة الرأس، تستعمل في الحرب[١].

«**وهزّ السيوف**» كناية عن الخروج للحرب وإصدار الأوامر للهجوم والغارة، ولمَّا كان أبو سفيان هو السبب في هذه الحروب، فقد جاءت كلمة «**السيوف**» بصيغة الجمع.

«**أشدَّ العرب لله جحوداً، وأنكرهم له رسولاً، وأظهرهم له عدواناً، وأعتاهم على الربِّ كفراً وطغياناً**»[٢].

من الواضح أنَّ العرب في مكَّة وغيرها.. كانوا على درجات متفاوتة في نسبة إنكارهم لوجود الله تعالى، أو اتخاذهم الأصنام آلهة من دونه سبحانه، فهناك من هو جاحد ومنكر مائة بالمائة، وهناك من هو جاحد ٧٠ ٪، وهكذا.

ومنهم: من هو عازم على الاستمرار في الكفر رغم علمه بالتوحيد، ومنهم: من كان يعيش حالة الشك في الاستمرار في الكفر أو الشرك.

ومنهم: من كان يحيك المؤامرات ضدَّ النبيِّ الكريم بصورة سريَّة، ومنهم: من كان يخرج لحرب رسول الله.. بشكل مكشوف.

ومنهم: من كان منكراً لله تعالى.. ولكنَّه يتخذ موقف المحايد تجاه النبيِّ الكريم، ولا يبذل أيَّ نشاط ضدَّ الإسلام والمسلمين.

---

(١) المعجم الوسيط.

(٢) أعتاهم: العتو: الاستكبار والتجبر وتجاوز الحد، كما في «العين» للخليل، والمعجم الوسيط.

ولكنَّ الكافر الذي ضرب الرقم القياسي في إنكار الله تعالى، وإنكار رسالة النبيِّ الكريم صلَّى الله عليه وآله: هو أبو سفيان.

هذه كلُّها صفات ومواصفات أبي سفيان، وقد ورثها منه حفيده يزيد، حيث كان يشترك مع جدِّه في جميع هذه الأوصاف والأحقاد، وبالنسبة والدرجة نفسها، لكنْ مع تبدّل الظروف!

فلقد وقف أبو سفيان في وجه رسول الله صلَّى الله عليه وآله وحاربه وأظهر أحقاده.

وجاء – من بعده – ابنه معاوية، فوقف في وجه الإمام أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب عليه السَّلام وحاربه بكلِّ ما لديه من طاقة وقوة، وعلى مختلف الأصعدة والمجالات، الإعلاميَّة والعسكريَّة وغيرها.

إنَّ الوثائق التاريخيَّة تقول: «**مات معاوية وعلى صدره الصنم**»[1]، فكم تحمل هذه الكلمة من معانٍ ودلالات، «**والحر تكفيه الإشارة**»!!

وقد جاء في التاريخ – أيضاً: «**مات معاوية على غير ملة الإسلام**»[2].

ثمَّ جاء يزيد – من بعد معاوية – فكان كالبركان يتفجر حقداً على آل رسول الله وأبناء الإمام أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب عليه وعليهم السَّلام.

فماذا تراه يفعل؟!

وماذا تتوقع منه؟!

---

(١) زينب الكبرى عليها السلام من المهد إلى اللحد، السيد كاظم القزويني: ص٤٢٧.

(٢) جاء هذا النص – بالحرف الواحد – في كتاب سير أعلام النبلاء، الذهبي: ج١٠، ص٥٣٣. وكتاب تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي: ج١٤، ص١٨١. وكتاب خلاصة عبقات الأنوار: ج٧، ص٣٠٥.

خاصة وأنَّه يرى تحت تصرفه جيشاً كبيراً ينفذ أوامره بكلِّ سرعة، ويطيعه طاعةً عمياء، دون رعاية الجوانب الإنسانيَّة أو العاطفيَّة أو الدينيَّة، وكان له مستشار مسيحي حاقد اسمه: «**سرجون**» يملي عليه ما يتبادر إلى ذهنه في كيفيَّة القضاء على الإسلام، ويرسم له الخطط للوصول إلى هذا الهدف!

«**ألا إنَّها نتيجة خلال الكفر**»، ألا: حرف لجلب الانتباه، أو للتأكيد على ما يخبر عنه[1].

النتيجة – هنا – العاقبة.

خلال – جمع خلة – وهي الخصلة.

أي أنَّ يزيد حينما أمر بقتل ريحانة رسول الله الإمام الحسين عليه السَّلام لم يكن لمجرد أنَّه كان يرى فيه منافساً له في السُّلطة فقضى عليه، بل إنَّ ذلك كان من منطلق الكفر والإلحاد؛ ولذلك.. فهو لم يكتفِ بقتل الإمام، بل أمر بسبي نسائه وأطفاله، وقام بغير ذلك من الجرائم والجنايات.

وهذه الأُمور هي نتيجة خبث نفسيته الطائشة وأثر صفاته الكفريَّة الموروثة من أبيه وجده!

«**وضب يجرجر في الصدر لقتلى يوم بدر**»، والضب – بكسر الضاد –: الغيظ الكامن والحقد الخفي.

جرجر البعير: إذا ردد صوته في حنجرته.

أي: وحقد يتأجج في الصدر، ويطالب يزيد للأخذ بثارات المقتولين في غزوة بدر، وهم أقطاب المشركين الذين كانوا قد خرجوا من مكَّة لمحاربة رسول الله صلَّى الله عليه

(١) كما يستفاد من كتاب (مغني اللبيب) لابن هشام.

وآله وقتال المسلمين.

وهم المشركون الذين تمنى يزيد حضورهم بقوله: «**ليت أشياخي ببدر شهدوا**» وهم: عتبة بن ربيعة، وشيبة، والوليد بن عتبة.

أمَّا شيبة فقتله عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، وأمَّا عتبة وابنه الوليد فقد قتلهما الإمام أمير المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب عليه السَّلام.

إنَّ جميع ما قام به الطاغية يزيد، من قتله الإمام الحسين وأصحابه وأهل بيته عليهم السَّلام، وسبي الطاهرات من نسائه وحرمه، وإهانته لرأس الإمام الحسين عليه السَّلام هي نتيجة طبيعية للكفر المكشوف والحقد الدفين في قلب يزيد، فلم يكن في قلبه مقدار ذرة من الإيمان بالله تعالى وبيوم القيامة، بل إنَّه اتخذ منصب خلافة الرسول الكريم، وسيلة لسلطته على الناس، وانهماكه في الشهوات، ومحاربته للدين وعظماء الدين.

فقد كان يتجاهر بشرب الخمر، ولعب القمار وغيرهما من المنكرات التي حرمها الله سبحانه، وبذلك أعطى الجرأة لجميع الناس كي يجلسوا في الأماكن العامة، ويرتكبوا ما شاؤوا من المعاصي والذنوب، من دون أيِّ خوف أو حذر، أو حياء أو خجل، أو احترام لحدود الله تعالى، أو رعاية للخطوط الحمراء التي وضعها الله سبحانه حول بعض الأعمال المحرمة.

لقد جاء في الحديث الشريف عن الإمام عليِّ بن موسى الرضا عليهما السَّلام أنَّه قال: «**...من نظر إلى الشطرنج فليلعن يزيد وآل يزيد...**»[1].

«**فلا يستبطئ في بغضنا – أهل البيت – من كان نظره إلينا شنفاً وإحناً وضغناً**»، وفي

(١) كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق: ج١، ص٢٥.

نسخة: «**وكيف يستبطئ في بغضنا**»، أي: كيف لا يسرع إلى بغض أهل بيت رسول الله صلَّى الله عليه وآله من كانت نظرته وعقيدته فيهم عقيدة الكراهة والحقد.

والشنف والشنآن والإحن والأضغان: معانيها متقاربة، والمقصود منها: شدَّة الحقد والبغض.

«**يظهر كفره برسوله، ويفصح ذلك بلسانه**»: إشارة إلى الأبيات التي أنشدها يزيد:

**لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل**

فقد أظهر كفره برسالة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وتجاهر بذلك، واعتبر النبوَّة والرسالة والوحي والقرآن كلَّها ألعاباً، وأنكرها جميعاً.

يفصح: أي يظهر ما في قلبه على لسانه.

«وهو يقول - فرحاً بقتل ولده، وسبي ذريته، غير متحوب ولا مستعظم:

**لأهلوا واستهلوا فرحاً ولقالوا: يا يزيد لا تشل**

غير متحوب: أي غير متأثم[1]، أو غير متحرج من القبيح، والحوبة: من يأثم الإنسان في عقوقه.. كالوالدين[2].

والظاهر أنَّ السَّيدة زينب عليها السَّلام تقصد أنَّ يزيد كان يعيش حالة عدم الاكتراث أو اللامبالاة بما قام به من جرائم، وبما يصرِّح به من كلمات كفريَّة، وبما يشعر به من الفرح والسرور لقتله ابن رسول الله، وسبي ذريته الطاهرة، إذ من الواضح أنَّ الذي لا يؤمن بيوم الجزاء لا يفكر في مضاعفات جرائمه، ولا يشعر بالحرج أو الخوف من أعماله التي

(١) القاموس المحيط، للفيروز آبادي.

(٢) المعجم الوسيط.

سوف تجر إليه الويل!!

«**منحنياً على ثنايا أبي عبد الله – وكان مقبل رسول الله (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) – ينكتها بمخصرته**»، ثنايا – جمع الثنية –: وهي الأسنان الأربع التي في مقدَّم الفم، اثنتان من فوق واثنتان من تحت[١].

مقبل: موضع التقبيل.

ينكت: يضرب.

مخصرة: العصا، وقيل: هي العصا التي في أسفلها حديدة محدّة، كحديدة رأس السهم.

أقول: إنَّ القلم ليعجز عن التعبير عن شرح هذه المقطوعة من الخطبة!! وذلك لهول المصيبة، فكيف تجرَّأ الطاغية يزيد على أنْ يضرب تلك الثنايا المقدَّسة، التي كانت موضعاً لتقبيل رسول الله.. مئات المرات.. وفعل يزيد ذلك بمرأى من عائلة الإمام الحسين عليه السَّلام ونسائه وبناته؟!

ولم يكتفِ يزيد بالضرب مرةً واحدة أو مرتين، بل مرات متعددة، وهو في ذلك الحال في أوج الفرح والانتعاش!!

ولم يكن الضرب على الأسنان الأماميَّة فقط، بل كان يضرب على شفتيه ووجهه الشريف، ويفرِّق بين شفتيه بعصاه ليضرب على أسنانه!

إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون!!

«**قد التمع السرور بوجهه**»، قد يكون الفرح شديداً فيتدفق الدم إلى الوجه فيحمر،

(١) كتاب لسان العرب، والمعجم الوسيط.

وبذلك تظهر آثار الفرح على ملامحه، فيقال: التمع السرور بوجهه.

هكذا كانت فرحة يزيد حين ضربه تلك الثنايا الشريفة[١].

«**لعمري لقد نكأت القرحة**»، نكأ القرحة: قشرها بعد ما كادت تبرأ[٢].

لعلَّ المعنى: أنَّ ضرب يزيد تلك الثنايا صار سبباً لهيجان الأحزان من جديد، وفجر دموع العائلة الكريمة، فاستولى عليهنَّ البكاء والنحيب، وخاصة أنَّ ابنتين من بنات الإمام الحسين عليه السَّلام جعلتا تتطاولان (أي: تقفان على رؤوس أصابع رجليهما) لتنظرا إلى الرأس الشريف، من وراء كراسي الجالسين، فلمَّا نظرتا إلى يزيد وهو يضرب الرأس الشريف، ضجتا بالبكاء والعويل، ولاذتا بعمّتهما السيدة زينب عليها السَّلام، وقالتا: يا عمتاه! إنَّ يزيد يَضرب ثنايا أبينا، فقولي له: لا يفعل ذلك؟![٣].

فقامت السيدة زينب عليها السَّلام ولطمت على وجهها ونادت: «**واحسيناه! يا بن مكّة ومِنى! يا يزيد: ارفع عودك عن ثنايا أبي عبد الله**»[٤].

«**واستأصَلتَ الشأفة**»، يُقال: استَأصل شأفته: أي أزاله من أصله[٥].

ولعلَّ المعنى: يا يزيد: لقد قطعت شجرة النبوَّة من جذورها بقتلك الإمام الحسين عليه السَّلام، فهو آخر من كان باقياً من أصحاب الكساء، الذين نزلت فيهم «**آية التطهير**»،

(١) كتاب الكامل لابن الأثر: ج٣، ص٣٠٠. وكتاب تاريخ دمشق لابن عساكر، في ترجمة أبي برزة الأسلمي. وكتاب أنساب الأشراف للبلاذري: ج٣، ص٢١٤. وكتاب مقتل الحسين للخوارزمي: ج٢، ص٥٥-٥٧. وكتاب تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص٢٣٢، من الطبعة الأولى. وكتاب الجوهرة للبري، طبع الرياض: ج٢، ص٢١٩. وكتاب الرد على المتعصب العنيد لابن الجوزي، طبع لبنان: ص٤٥. وكتاب تاريخ الإسلام للذهبي: ج٢، ص٣٥١.

(٢) كتاب العين للخليل بن أحمد.

(٣) كتاب المعجم الكبير للطبراني، طبع بغداد: ج٣، ص١٠٩.

(٤) زينب الكبرى عليها السلام من المهد إلى اللحد: ص٤٣٥.

(٥) المعجم الوسيط.

وعبَّر الله تعالى عنهم – في القرآن الكريم – بكلمة «**أهل البيت**»، فكلُّ من كان يُقتل من هؤلاء الخمسة الطيّبين.. كانَ في الباقين – منهم – سلوة لآل رسول الله، وبقتل الإمام الحسين عليه السَّلام انقطعت شجرة أهل البيت عليهم السَّلام من جذورها، وكان ذلك بأمر يزيد وتنفيذ ابن زياد.

«**بإراقتك دم سيد شباب أهل الجنّة، وابن يعسوب الدين، وشمس آل عبد المطّلب**»، اليعسوب: النحلة التي يُعبّر عنها بـ: «**المَلكة**» في مملكة النحل(١)، وقد لقّب رسول الله صلَّى الله عليه وآله الإمام أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالب عليه السَّلام بلقب «**يعسوب الدين**»، وشبّه شيعته بالنحل الذي يعيش في ظلِّ تلك المملكة ويتّبع ذلك اليعسوب، واشتُهر بين المسلمين – في ذلك اليوم – هذا اللقب للإمام عليٍّ عليه السَّلام؛ ولذلك قال الشاعر الشيخ صالح الحريري:

**ولايتي لأمير النحل تكفيني ... عند الممات وتغسيلي وتكفيني**

**وطينتي عُجِنت من قَبل تكويني ... بحبّ حيدر كيف النار تكويني؟!**

ثمَّ عبَّرت السَّيدة زينب عليها السَّلام عن الإمام الحسين عليه السَّلام بـ«**شمس آل عبد المطّلب**»، ويا لهذا التعبير من بليغ راقٍ، وتشبيه جميل، فإنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام كان هو الوجه المشرق الوضّاء والواجهة المُتلألئة لآل عبد المطلب بن هاشم، وسبب الفخر والاعتزاز لهم، وهم كانوا المجموعة أو العشيرة الطيّبة لقبيلة قريش، وقريش كانت أشرف قبائل العرب.

(١) قال الخليل في كتاب العين اليعسوب: أمير النحل وفحلها، ويُقال: هي عظيمة مُطاعة فيها، إذا أقبلت أقبلت، وإذا أدبرت أدبرت. وقال الزبيدي – في تاج العروس –: اليعسوب: أمير النحل، واستُعمل بعد ذلك في الرئيس الكبير والسيد والمُقدّم...، وفي حديث عليٍّ (عليه السَّلام): «أنا يعسوب المؤمنين»، أي: يلوذ بي المؤمنون كما تلوذ النحل بيعسوبها. وقال ابن منظور – في لسان العرب –: اليعسوب: أمير النحل، ويُقال للسيد: يعسوب قومه، وفي حديث عليٍّ عليه السلام: «أنا يعسوب المؤمنين، يلوذ بي المؤمنون كما تلوذ النحل بيعسوبها».

«**وهَتَفتَ بأشياخك**»، حينما قلتَ: «**ليت أشياخي ببدر شهدوا**»، فتمنّيت حضورهم ليروا انتصارك الموهوم، وأخذك لثأرهم من آل رسول الله (صلَّى الله عليه وآله)، مع أنَّ أشياخك هم الذين خرجوا - من مكَّة إلى المدينة - لقتال رسول الله، وهم الذين بدأوا الحرب مع المسلمين، فكانوا بمنزلة الغُدّة السرطانيّة الخبيثة في جسم البشريّة، وكان يلزم استئصالها كي لا ينتشر المرض والفساد في بقيّة أجزاء الجسم.

«**وتقرّبت بدمه إلى الكفرة من أسلافك**»، أي: قُمتَ بإراقة دم الإمام الحسين عليه السَّلام تقرّباً إلى أسلافك، وقلتَ:

**قد قَتَلنا القَرم مِن ساداتهم وعدلنا ميل بدرٍ فاعتدَل**

«**ثمّ صرختَ بندائك**»، أي: بندائك لأشياخك، ومن هذه الجملة يُستفاد أنَّ يزيد كان رافعاً صوته حين إنشاده لتلك الأبيات الكُفريّة، والشعارات الإلحاديَّة.

«**ولعمري لقد ناديتهم لو شهدوك**»، قال ابنُ مالك - ما معناه -: «**لو: حرفٌ يقتضي في الماضي امتناع ما يليه، واستلزامه لتاليه**»[١].

وبناءً على هذا.. يكون معنى كلام السيدة زينب عليها السَّلام: يا يزيد! لقد تمنّيتَ أسلافك لو كانوا حاضرين كي يشهدوك ويشهدوا أخذك لثأرهم، ولكنَّ هذه الأُمنية لا تتحقّق لك، فأسلافك موتى معذّبون في نار جهنّم، ومن المستحيل أنْ يعودوا الآن ويشهدوا ما قُمتَ به من الجرائم، وليقولوا لك: سَلِمَت يداك!!

«**ووشيكاً تشهدهم ولن يشهدوك**»، وشيكاً: أي: سريعاً أو قريباً[٢]، ويُقال: أمرٌ

(١) حكى عنه ذلك ابن هشام في كتاب مغني اللبيب: ص٣٤٢.

(٢) المعجم الوسيط.

وشيك: أي: سريع[١].

المعنى: يا يزيد سوف تموت قريباً عاجلاً، لأنَّ مُلكك يزول سريعاً، ولا تطول أيام حياتك، وتنتقل إلى عالم الآخرة، إلى جهنّم فترى أسلافك هناك في الأغلال والقيود وفي صالات التعذيب، وممرّات السجون، ولكنَّهم لا يرونك، أي: لا تجتمع معهم في مكان واحد، لأنّك ستكون في درجة أسفل منهم في طبقات نار جهنّم، لأنَّ جرائمك الموبقة تستوجب العذاب الأشدّ، لكنَّك حين نزولك إلى ذلك المكان الأسفل، سوف يكون طريقك عليهم، فتراهم ولكنَّهم لا يرونك، لأنَّ شدَّة عذابهم تشغلهم عن الالتفات إلى ما حولهم ومَن حولهم مِن الجُناة!

وقد رُوي عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله أنَّه قال: «**إنَّ قاتل الحسين بن عليٍّ.. في تابوت من نار، عليه نصف عذاب أهل الدنيا، وقد شُدّت يداه ورجلاه بسلاسل من نار، مُنكّس في النار، حتى يقع في قعر جهنّم، وله ريحٌ يتعوّذ أهل النار إلى ربّهم من شدّة نتنه، وهو فيها خالد ذائق العذاب الأليم، مع جميع من شايع في قتله، كلَّما نضجت جلودهم بدّل الله (عزَّ وجلَّ) عليهم الجلود حتى يذوقوا العذاب الأليم، لا يُفَتّر عنهم ساعة، ويُسقَون من حميم جهنّم، فالويل لهم من عذاب الله تعالى في النار**»[٢].

«**ولتودّ يمينُك – كما زعمت – شُلّت بك عن مِرفَقها وجُذّت**»، شُلّت: الشلل: تعطّل أو تيبّسٌ في حركة العضو أو وظيفته، يُقال – في الدعاء –: شُلّت يمينك[٣].

---

(١) كتاب العين، للخيل بن أحمد.

(٢) كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢، ص٤٧، ح١٧٨.

(٣) المعجم الوسيط.

جُذّت: قُطعت أو كُسِرَت[١].

المعنى: يا يزيد! إنَّك في الدنيا زَعمت أنَّ أسلافك لو كانوا حاضرين.. لقالوا لك: «**يا يزيد لا تُشَل**»، أمَّا في يوم القيامة، حين تُعاقب تلك العقوبة الشديدة، سوف تتمنّى أنَّ يمينك كانت مشلولة أو مقطوعة حتى لا تستطيع أنْ تَضرب بعصاك ثنايا الإمام الحسين عليه السَّلام.

وهذا إخبارٌ من السَّيدة زينب عليها السَّلام بما يدور في ذهن يزيد حين يُلاقي جزاء أعماله الإجراميّة.

وتتمنّى - أيضاً - حينما تُلاقي أشدَّ درجات العقوبة والتعذيب:

«**وأحبَبتَ أنَّ أُمَّك لم تحملك، وإيّاك لم تَلِد حين تصير إلى سخط الله ومُخاصمك رسول الله صلَّى الله عليه وآله**»، أحبَبتَ - هنا -: بمعنى تَمنّيتَ من أعماق قلبك أنَّ أُمَّك لم تكن تحمل بك، ولم تلدك حتى لا تكون مخلوقاً وموجوداً من أَوَّل يوم، ولم تَكتَسِب هذه السيئة الكبيرة التي دفعت بك إلى أسفل السافلين في التابوت الموجود في أسفل طبقات جهنّم، حيث يستقرّ فيه أفراد معيّنون من الجُناة الذين جرّوا الوَيلات على البشريّة جمعاء، وعلى كلِّ الأجيال والبلاد والشعوب، وأَسّسوا الأُسس ومهّدوا الطرق لمن يأتي من بعدهم من الطغاة والخَوَنة، في أنْ يقوموا بكلِّ جريمة، وبكلِّ جُرأة!

إنَّ الأحاديث الشريفة تقول: إنَّ أهل النار - جميعاً - يستغيثون بالموكّلين بهم من الملائكة.. أنْ لا يفتحوا باب ذلك الصندوق، لأنَّ درجة الحرارة فيه أشدُّ - بكثير - مِن حرارة جهنّم نفسها!![٢].

(١) المصدر نفسه.

(٢) كتاب بحار الأنوار: ج٨، ص٢٩٦، وهو ينقل ذلك عن كتاب تفسير عليٍّ بن إبراهيم، وقد نَقَلنا مضمون الحديث.

وتقول الأحاديث الشريفة: إنَّه كلَّما خَفَّت ونزلت درجة حرارة نار جهنّم.. تَفتَح الملائكة باب ذلك الصندوق لمدّة قليلة فتزداد حرارة جهنّم كلِّها بالحرارة الشديدة التي أُضيفت إليها من ذلك التابوت، كالقِدر الكبير للطعام الذي توضع فيه البقول، وتوضع على نار خفيفة، وفُجأةً يرفعون درجة تلك النار إلى أقصى نسبة ممكنة، فيحدث اضطراب عجيب في ذلك القدر وما فيه!

ويُعبّر عن ذلك الصندوق بـ(التابوت) وبالمعذّبين فيه بـ(أهل التابوت).

وقد رُوي عن الإمام جعفر الصادق عليه السَّلام أنّه قال: «... **إذا كان يوم القيامة أقبل رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) ومعه الحسين عليه السَّلام ويده على رأسه يقطر دماً، فيقول: يا ربِّ سل أُمَّتي فيمَ -أي: لماذا- قتلوا ولدي!**»[٣].

ثمّ بدأت السيدة زينب عليها السَّلام بالدعاء على يزيد ومَن شاركه في ظلم آل رسول الله الطيّبين الطاهرين، دَعَت عليهم مِن ذلك القلب المُلتَهِب بالمصائب المُتتالية، فقالت: «**اللهم! خُذ بحقّنا، وانتقم ممَّن ظلمنا، واحلُل غضبك على من سفك دماءنا، ونقضَ ذمارنا، وقَتلَ حُماتنا، وهتك عنّا سدولنا**».

نَقَضَ: لم يُراعِ الحرمة والعهد.

الذمار: ما ينبغي حفظه والدفاع عنه، كالأهل والعِرض[٤].

وقيل: ذمار الرجل: كلُّ شيء يلزمه الدفع عنه[٥].

(٣) كتاب أمالي الطوسي: ص١٦١، ح٢٦٨، ونقله المجلسي في بحار الأنوار: ج٤٥، ص٣١٣.

(٤) المعجم الوسيط.

(٥) كتاب العين للخليل بن أحمد.

سدول – جمع سدل – السِتر[١].

ثمَّ أرادت السَّيدة زينب عليها السَّلام أنْ تُبيّن ليزيد حقيقة واقعيّة: وهي أنَّ جميع ما قُمتَ به ضدَّ آل رسول الله صلَّى الله عليه وآله مِن: قتل وسَبي، وحمل الرؤوس من بلد إلى بلد، وإهانة الرأس الشريف، والإفصاح عن الكلمات الكُفريّة الكامنة في الصدر، وغيرها.. لا تعود عليك بالفائدة والنَفع، بل تعود عليك بالخسران والعقوبة، حتى لو جعَلَتك تفرح لمدّة قصيرة، لكنَّ هذا الفرح سوف لا يستمرّ، بل يتعقّبه سلسلة متواصلة من أنواع الخسارة والعذاب الجسدي والنفسي، فقالت عليها السَّلام: «**وفعلت فِعلتك التي فعلت، وما فرَيت إلَّا جلدك، وما جَزَرت إلَّا لحمك**».

فَريتَ: شققتَ وفتَتَّ[٢] وقَطعتَ[٣].

جزَرتَ: قطعتَ[٤] ويُستعمل غالباً في نحر البعير وتقطيع لحمه.

«**وسترد على رسول الله بما تحمّلتَ من دم ذريّته، وانتهكتَ من حرمته، وسفكت من دماء عترته ولُحمَته**»، اللُحمة: القرابة، يُقال: بينهم لُحمة نسب[٥].

المعنى: سترِد على رسول الله صلَّى الله عليه وآله – بعد موتكَ – وأنت تحمل على ظهركَ من الجرائم ما لا تحملها الجبال الرواسي، فيُخاصمك على كلِّ واحدة منها أشدَّ الخصومة، من دون أن يخفى عليه شيء!

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المعجم الوسيط.

(٣) كتاب العَين للخليل.

(٤) المعجم الوسيط.

(٥) المعجم الوسيط.

«**حيثُ يُجمع به شملهم، ويُلمّ به شعثهم، وينتقم ممَّن ظلمهم، ويأخذ لهم بحقّهم من أعدائهم**»، الشعث: ما تَفرّقَ من الأُمور أو الأَفراد، يُقال – في الدعاء –: «**لَمّ الله شعَثه**»[١].

المعنى: سوف يجمع الله تعالى آل رسول الله عند النبيِّ الكريم في جبهة واحدة – وذلك في يوم القيامة – فيَشكو كلُّ واحد من آل الرسول إلى النبيِّ الكريم كلَّ ما لقيَ من الناس مِن عداءٍ وظلم، فينتقم الله من أعدائهم أشدَّ الانتقام، ومادام الأمر كذلك، فاسمع يا يزيد:

«**فلا يستفزّنّك الفرح بقتلهم**»، لا يستفزّنك: أي: لا يُخرجك الفرح عن حالتك الطبيعيّة، يُقال: استفزّه: أي استخفّه، أو ختَله حتى ألقاه في مهلكة[٢].

فلا خير في فرحة قصيرة يتعقّبها حزن دائم، وعذاب أليم، وخلود في النار.

ثمّ أدمجت السيدة زينب عليها السَّلام كلامها بالقرآن الكريم، فقالت:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[٣] وحسبُك بالله ولياً وحاكمًا».

لعلَّ المقصود من قولها: «**وحسبك بالله وليّاً وحاكماً**» أي: وليّاً للدم، وآخذاً للثأر، فالإمام الحسين عليه السَّلام هو وصيُّ رسول الله، وسيّد أولياء الله تعالى، فمن الطبيعي أنْ يكون الله عزَّ وجلَّ هو الطالب بثأره، والوليّ لدمه، فهو الشاهد لمصيبة استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام، وهو القاضي، وهو الحاكم، فهنا.. الحاكم والقاضي هو الذي قد شَهِدَ الجريمة بنفسه، فلا يحتاج إلى شهادة شهود، وهو الذي يَعرف عظمة المقتول ظلماً،

(١) نفس المصدر.

(٢) كتاب (العين) للخليل، و(لسان العرب) لابن منظور، و(تاج العروس) للزبيدي.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ١٦٩–١٧٠.

وهو الذي يعلم أهداف القاتل مِن وراء قتله للإمام، وهو يزيد.

«**وبرسول الله خَصماً، وبجبرائيل ظهيراً**»، لقد روي عن الصحابي ابن عباس أنّه قال: «**لمّا اشتدَّ برسول الله صلَّى الله عليه وآله مرضه الذي مات فيه، حضَرتُه وقد ضمّ الحسين إلى صدره، يسيل من عرَقه عليه، وهو يجود بنفسه ويقول: «ما لي وليزيد! لا بارك الله فيه، اللهم العن يزيد**».

ثمّ غُشيَ عليه طويلاً وأفاق، وجعل يُقبّل الحسين وعيناه تذرُفان ويقول: أما إنَّ لي ولقاتلك مقاماً بين يدي الله»[1].

ثمّ صعّدَت السيدة زينب عليها السَّلام من لهجتها في تهديد يزيد وإنذاره، مُغامرةً منها في حربها الكلاميّة ومُخاطرتها في كشف الحقائق، وإهانتها للطاغية يزيد، فقالت: «**وسيعلم من بوّأك ومكّنك من رقاب المسلمين أنَّ بئس للظالمين بدلاً، وأيّكم شرٌّ مكاناً وأضلّ سبيلاً**».

مكّنَكَ: مهّد لتسلّطك على كرسيّ الحكم على الناس والتلاعب بدماء المسلمين.

وهذا تصريح من السَّيدة زينب عليها السَّلام - أمامَ يزيد ومَن كان حوله في مجلسه - بعدم شرعيّة تسلّطه على رقاب الناس، بل وعدم شرعيّة سلطة من مهَّد ليزيد هذه السُّلطة وهو أبوه معاوية بن أبي سفيان، فهو الذي يتحمَّل ما قام به يزيد من الجرائم، مُضافاً إلى ما تحمّله هو من الجنايات وقتل الأبرياء، فسيكون عذابه أشدَّ، لأنَّ جرائمه أكثر ووزرَه أثقل، ولعلَّ هذا المعنى هو المقصود من قول السيدة زينب عليها السَّلام - حكايةً منها عن القرآن الكريم: «**أيّكم شرّ مكاناً**».

---

(١) كتاب الدرّ النظيم، الشيخ جمال الدين يوسف بن حاتم الشامي، (ت٦٧٦هـ)، الطبعة الأُولى، إيران، ١٤٢٠هـ: ص٥٤٠، وهو ينقل ذلك عن مثير الأحزان.

«**وما استصغاري قَدرك، ولا استعظامي تَقريعك**»، التَقريع: التعنيف الضرب مع العُنف والإيلام.

وفي نسخة: «**ولئن جرّت عليَّ الدواهي مخاطبتك، إنِّي لأستصغر قدرك، وأستعظِم تقريعك**»[١].

الدواهي – جمع داهية: دَواهي الدهر: ما يُصيب الإنسان من نُوَبه[٢].

لعلَّ السيدة زينب عليها السَّلام تقصد – من كلامها هذا –: أنْ يا يزيد! من الصعب عِليَّ جداً أنْ أُخاطبك، لأنّي في منتهى العفَّة والخدر، وأنت في غاية اللؤم والحقارة، ومن الصعب علَيَّ أنْ أُخاطب رجلاً نازل القدر والمكانة، لكنَّ الضرورة والظروف المؤسفة وتقلّبات الدهر، جعلتني أكون طرفاً لك في الخطاب، لكي أُبيّن لك فظاعة تقريعك لرأس أخي الإمام الحسين عليه السَّلام.

«**تَوَهّماً لانتجاع الخطاب فيك**»، الانتجاع: احتمال التأثير[٣].

المعنى: ليس هدفي من مُخاطبتك احتمال تأثير خطابي فيك، بل هو ردّ فعل طبيعي لما شاهدته وأُشاهده من المصائب، وعسى أنْ يؤثّر كلامي في بعض الجالسين في هذا المجلس، ممّن خفيَت عنهم الحقائق، بسبب تأثير الدعايات، وأقول قَولي هذا.. لكي أُبطِل وأُدمِّر ما أحرزته من الانتصارات الموهومة.

«**بعد أن تركتَ عيون المسلمين به عبرى**»، أي: مُغرَورقة ومليئة بالدموع بسبب استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام بلا ذنب، وبتلك الكيفيَّة الفجيعة!

---

(١) كتاب الملهوف على قتلى الطفوف، للسيد ابن طاووس: ص٢١٧.

(٢) المعجم الوسيط.

(٣) كما يُستفاد هذا المعنى من كتاب العين للخليل، والمعجم الوسيط.

«**وصدورهم عند ذكره حرّى**»، أي: ملتهبة من الحزن والأسى، عند تذكّر ما جَرى عليه من المصائب المقرحة للقلوب.

وهذا أمر طبيعي لكلِّ مسلم - بل كلّ إنسان - لم تتغيّر فيه الفطرة الأَوَّليَّة التي فطر الله الناس عليها، فالتألّم من هكذا فاجعة، هو ردُّ فعل طبيعي لكلِّ من تكون العاطفة سليمة لديه.

ثمّ ذكرت السيدة زينب عليها السَّلام سبب عدم احتمال تأثير خطابها في نفسيّة يزيد وحاشيته، فقالت عليها السَّلام: «**فتلك قلوب قاسية، ونفوس طاغية، وأجسام محشوّة بسخط الله ولعنة الرسول، قد عشّش فيها الشيطان وفَرّخ**».

مَحشوّة: أي: مملوءة.

إنَّ القلب إذا صار قاسياً، والنفس إذا أخذها الطغيان، فسوف لا تكون الأرضيّة مساعدة فيهما لتقبّل المواعظ والنصائح.

يُضاف إلى ذلك.. أنَّ الشيطان الرجيم إذا وجد التفاعل والتجاوب من شخص، فسوف يتربّع في فكره وذهنه، ويتّخذه لنفسه عشاً ووكراً، ومسكناً ومحلاً للإقامة فيه، ويكون بمنزلة جهاز التحكّم في الأشياء، يتحكّم في ميوله واتّجاهاته، فيوجّه الشخص حيثما يريد، ويأمره بأنواع الانحراف والانسلاخ عن الفطرة الإنسانية والعاطفة وجميع الصفات الحميدة، ويعطيه الجُرأة على اقتحام المخاطر الدينيَّة، فإذا أراد الشيطان مغادرة فكر هذا المنحرف فإنَّ هناك فراخه، أي: جنوده، الذين يقومون مقامه ويؤدّون دوره في مهمّة الإغراء والتشجيع على الجريمة من دون التفكير في مضاعفاتها السلبيّة.

«**ومن هناك مِثلك ما دَرَج**»، ومن هناك: أي: وبسبب ذلك، ونتيجة لتلك الأسباب،

وقيل: «**ما**» في «**ما درج**»: زائدة.

درج: يُقال: درج الصبيّ: أي أخذ في الحركة ومشى مشياً قليلاً.. أَوَّل ما يمشي[١]، وقيل: درج: أي نشأ وتقوّى.

«**فالعجب كلُّ العجب لقتل الأتقياء، وأسباط الأنبياء، وسليل الأوصياء، بأيدي الطلقاء الخبيثة، ونسل العَهَرة الفجرة**».

الأتقياء – هنا: الإمام الحسين عليه السَّلام والمستشهدين معه.

أسباط – جمع سبط: الحفيد.

السليل: الوَلَد.

العهرة – جمع عاهر وعاهرة: الرجل الزاني، والمرأة الزانية.

الفجرة – جمع فاجر وفاجرة: الرجل أو المرأة التي تُمارس فاحشة الزنا والفجور.

حقّاً إنّه عجيب، بل هو من أعجب الأعاجيب أنْ يُقتل أشرف وأطيب خلق الله تعالى على أيدي ذريّة العاهرين والعاهرات!!

ولكن.. هذه هي طبيعة الحياة الدنيا، فهي مرحلة امتحان للأخيار والأشرار، وللذين يضربون أرقاماً قياسيّة في الطيب أو الخبث.

والآن نعود إلى شرح كلمات خطبة السَّيدة زينب عليها السَّلام:

تقول السيدة: إنَّ قتل الأتقياء وأحفاد الأنبياء وأبناء الأوصياء، كان على أيدي الطلقاء الخبيثة، ونسل العهرة الفجرة.

إنّنا حينما نُراجع التاريخ الصحيح نجد أنَّ الذين ارتكبوا فاجعة كربلاء الدامية كانوا

---

(١) المعجم الوسيط.

من أولاد الحرام!! بِدءاً من يزيد، إلى ابن زياد، إلى الشمر، إلى العشرة الذين سحقوا جسد الإمام الحسين عليه السَّلام بعد شهادته، بحوافر خيولهم!!

ولالحاق كلِّ واحد منهم بأبيه قصّة مذكورة في كتب «**علم الأنساب**»[١].

فقد جاء في التاريخ أنَّ امرأة نصرانية اسمها: «**ميسون بنت بجدل الكلبي**» زَنَت مع عبد أبيها، فحملت بـ «**يزيد**»، وبعد الحمل بشهور تزوّجها معاوية[٢].

وأمّا عبيد الله بن زياد، فإنَّ أُمَّه «**مرجانة**» كانت مشهورة - عند الجميع - بالزنا المُستمرّ!![٣].

وكلام الإمام الحسين عليه السَّلام مشهور وصريح بأنَّ عبيد الله وأباه زياداً كانا ابنَي زنا، حيث قال الإمام: «**... ألا وإنَّ الدعيّ ابن الدعيّ قد ركز بين اثنتين: بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة...**»[٤].

وقد رويَ عن الإمام جعفر الصادق عليه السَّلام أنّه قال: «**قاتل الحسين عليه السَّلام ولد زنا**»[٥].

«**تَنطِف أكُفُّهم من دمائنا**»، تنطِفُ: تقطرُ أو تسيل[٦].

والظاهر أنَّ هذا الكلام - أيضاً - استعارة بلاغيّة، وتعني السيدة زينب عليها السَّلام تلك الأيدي والأكفّ التي كانت تضرب بسيوفها ورماحها أجسام آل رسول الله صلَّى الله عليه وآله الإمام الحسين عليه السَّلام ورجال أهل بيته وأصحابه، فتتقاطر أكفُّهم

---

(١) اقرأ كتاب مثالب العرب، لهشام بن الكلبي، وكتاب إلزام النواصب، الشيخ مفلح بن الحسين البحراني.

(٢) كتاب مجالس المؤمنين: ج٢، ص٥٤٧، نقلًا عن كتاب مثالب الصحابة.

(٣) كتاب معالي السبطين: ج١، الفصل السابع، المجلس الرابع.

(٤) اللهوف في قتلى الطفوف: ص٥٩.

(٥) كتاب كامل الزيارات، ابن قولويه: ص٧٩، ح١١. وكتاب بحار الأنوار: ج١٤، ص١٨٣.

(٦) على ما هو مذكور في أكثر كتب اللغة.

وسيوفهم من دماء أولئك الطيّبين.

«**وتتحلّب أفواههم من لحومنا**»، تتحلّب: يُقال: حَلَبَ فلانٌ الشاة أو الناقة: أي: استخرج ما في ضَرعها من اللبن، واستحلب اللبن: استدرّه[١]، وتحلّب فوه أو الشيء: إذا سال[٢].

لعلَّ المراد: أنّه كما أنَّ رضيع الناقة يتحلّب ويمتصّ بفمه الحليب من محالب أُمِّه، كذلك كان الأعداء يمتصّون بأفواههم من لحوم ودماء آل رسول الله صلَّى الله عليه وآله مصّاً قوياً بدافع الحقد والبغضاء!!

وهذه – أيضاً – استعارة بلاغيّة وكناية عن شدّة حقدهم وعدائهم.

ويُمكن أنْ تكون هذه الكلمة إشارةً إلى ما فعلته هند جدّة يزيد – في غزوة أُحد –: مِن شقّها لبطن سيّدنا حمزة بن عبد المطّلب، وإخراجها كبده، ثمَّ وضعه في فمها ومحاولتها أنْ تمضغه وتأكل منه، حقداً منها عليه، لكونه عمّاً لرسول الله، وقائداً كفؤاً في جيش المسلمين.

«**تلك الجُثث الزاكية، على الجَبوب الضاحية**»، الجَبوب: وجه الأرض الصلبة[٣]، وقيل: الجَبوب: التُراب[٤].

الضاحية: يُقال ضحا ضَحواً: برز للشمس، أو أصابه حرُّ الشمس، وأرض ضاحية

---

(١) كتاب أقرب الموارد، للشرتوني.

(٢) كتاب العين، للخليل بن أحمد.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المعجم الوسيط.

الظلال: أي: لا شجر فيها[١].

وهذا إخبار من السيدة زينب عليها السَّلام عن مصيبة بقاء الأجساد الطاهرة على وجه الأرض عدّة أيام.. من غير دفن، تصهرها الشمس بأشعّتها المباشرة، كلُّ ذلك رغم كونهم سادات أولياء الله تعالى.

«**تَنتابها العواسل**»، تنتابها: تأتي إليها مرّة بعد مرّة.

العواسل - جمع عاسِل -: وهو الذئب[٢].

وهنا احتمالان في المقصود من هذا الكلام:

الاحتمال الأوَّل: إنَّ المقصود من «**العواسل**» هم الذين حضروا يوم عاشوراء لقتل الإمام الحسين عليه السَّلام والصفوة الطيبة من ذريته وأهل بيته وأصحابه، عبّرت السيدة زينب عليها السَّلام عن أولئك الأعداء بالذئاب، لأنّهم كانوا يحملون صفة الذئاب وهي الافتراس، ويُعبّر عن هذا النوع من التشبيه - في علم البلاغة والأدب - بـ(الاستعارة).

وقد استعمل الإمام الحسين عليه السَّلام هذا النوع من الاستعارة في خطبته التي ألقاها قبل خروجه من مكّة نحو العراق، حيث قال فيها: «... **خِيرَ لي مصرع أنا لاقيه، وكأنّي بأوصالي تُقطّعها عُسلان الفلوات، بين النواويس وكربلاء...**»[٣].

وبناءً على هذا يكون المقصود من كلمة (تَنتابها) الهجوم المتوالي والغارات المتتالية التي كان الأعداء يَشِنّونها على أصحاب الإمام الحسين عليه السَّلام وخيامه يوم عاشوراء.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) وقيل: العواسل - جمع عسّال -: وهو الرمح.

(٣) كتاب بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٦٧.

الاحتمال الثاني: هو أنَّ الشأن والعادة تقتضي أن لو بقيت جُثث أناس على الأرض من غير دفن، وكانت المنطقة تتواجد فيها الذئاب، فإنَّها تأتي إلى تلك الجثث وتأكل من لحومها.

إلَّا أنَّ هذا المعنى لم يحصل – بكلِّ تأكيد – بالنسبة إلى الجسد الطاهر للإمام الحسين عليه السَّلام وأجساد أصحابه وأهل بيته الطاهرين، الذين قُتلوا معه، وبقيت أجسادهم على الأرض لمدّة ثلاثة أيام، من غير دفن أو مواراة في الأرض، من دون أنْ يتعرّض لها ذئب أو أيُّ حيوان مفترس آخر.

«**وتُعفّرها أُمَّهات الفراعل**»، الفراعل – جمع فُرعُل –: ولد الضبع[1].

الظاهر أنَّ هذا الكلام – أيضاً – استعارة بلاغيّة، ولعلَّها تشير إلى أولئك الأفراد العشرة الذين ركبوا خيولهم وسحقوا جسد الإمام الحسين عليه السَّلام بعد قتله بحوافر الخيل، في يوم عاشوراء، أو اليوم الحادي عشر من المحرّم.

قال الراوي: ثمَّ نادى عمر بن سعد في أصحابه: مَن ينتدبُ للحسين فيوطئ الخيل ظهره؟

فانتدب منهم عشرة وهم: إسحاق بن حوية، وأخنَس بن مرثد، وحكيم بن طفيل، وعمر بن صبيح الصيداوي، ورجاء بن مُنقذ العبدي، وسالم بن خَيثمة الجعفي، وصالح بن وهب الجعفي، وواحظ بن غانم، وهاني بن ثَبيت الحضرمي، وأُسيد بن مالك (لعنهم الله)، فداسوا جسد الحسين عليه السَّلام بحوافر خيولهم حتى رضّوا ظهره وصدره!!

قال الراوي: وجاء هؤلاء العشرة حتى وقفوا عند ابن زياد، فقال له أحدهم:

**نحن رضضنا الصدر بعد الظهر ... بكلِّ يعبوبٍ شديد الأسر**

فقال ابن زياد: مَن أنتم؟

(١) كتاب أقرب الموارد، للشرَتوني.

قالوا: نحن وطئنا بخيولنا ظهر الحسين حتى طحنّا جناجن صدره!!

فأمر لهم بجائزة.

قال أبو عمرو الزاهد: فنظرنا في نسب هؤلاء العشرة، فوجدناهم جميعاً أولاد زنا![١].

«**فلئن اتّخذتنا مغنَماً، لتجدنا وشيكاً مُغرماً حين لا تجد إلّا ما قدّمت يداك، وما الله بظلام للعبيد**»، مَغنَماً: الغنيمة، وجمعها: مغانم[٢] وقيل: المَغنَم: هو كلُّ ما حصل عليه الإنسان من أموال الحرب[٣].

مُغرَماً: المُغرَم: المُثقل بالدَين[٤] أو أسير الدَين[٥] وقيل: المغرَم: مصدر وُضِعَ موضع الاسم، ويُراد به مُغرَم الذنوب والمعاصي[٦].

المعنى: يا يزيد! إنّك أمرت بأسرنا، وتعاملَت جلاوزتك معنا - في طريق الشام - تعامل السبايا والغنائم الحربيّة، ولكن اعلم أنّك في القريب العاجل ستجد نفسك مُثقلاً بالذنوب ومحاصراً بالمعاصي التي يلزم عليك دفع ضريبتها، والدفاع عن نفسك في محكمة العدل الإلهية، حيث لا تجد معك إلّا ما قدّمت يداك من جرائم وجنايات، والتي مِن أبرزها: سبي نساء آل رسول الله صلَّى الله عليه وآله، وفي ذلك الحين ترى نفسك وحيداً ذليلاً مهاناً، من غير محامٍ يدافع عنك، ولا عذرٍ لتبرّر به أعمالك، ولا مال لتدفعه رشوةً وتُخلّص به نفسك، بل تبقى أنت وأعمالك!!

---

(١) كتاب الملهوف، السيد ابن طاووس: ص١٨٢-١٨٣.

(٢) المعجم الوسيط.

(٣) كتاب لسان العرب.

(٤) المعجم الوسيط.

(٥) أقرب الموارد، للشرتوني.

(٦) كتاب مجمع البحرين، للطريحي.

«**فإلى الله المشتكى والمُعَوّل، وإليه الملجأ والمؤمّل**»، المُعَوّل: اسم مفعول بمعنى «**المُستعان**»، يقال: عَوّلتُ عليه: أي استَعَنتُ به، وصَيّرت أمري إليه[١]، وقيل: العَولُ: المُستعان به، والعِوَل: الاتّكال والاستعانة، يُقال: عَوَّل الرجل عليه: أي اعتمد واتّكل عليه، واستعانَ به[٢].

وبعد ما ذكرَت السيدة زينب عليها السَّلام ما جرى على آل الرسول الطاهرين من المصائب، تقول: «**فإلى الله المُشتكى**» وعليه الاعتماد والاتّكال والاستعانة به لا بغيره، فقد كان تعالى هو الشاهد على ما جرى، وسيكون هو المنتقم من الأعداء، المقتدر على إبادتهم وعقوبتهم، «**وإليه المَلجأ والمؤمّل**» فهو – سبحانه – الملجأ لنا ولبقيّة أفراد العائلة المكرّمة، وخاصّة بعد فقدنا لسيّدنا الإمام الحسين عليه السَّلام وتواجدنا في عاصمة بني أُميّة، في قيد الأَسر والسبي!

وهو «**المؤمّل**»: الذي نأمل منه أنْ يُعيننا على ما أصابنا، ويُعطينا الصبر الجميل على تحمّل ذلك، ويمنحنا الأجر الجزيل إزاء ما لاقيناه من المكاره والنوائب.

ثمَّ عادت السَّيدة زينب عليها السَّلام لتصبَّ جام غضبها على المجرم الأصلي لفاجعة كربلاء، وهو يزيد الذي قام بتلك الجرائم مباشرة، أو أصدر الأوامر لعامله اللعين ابن زياد، الذي نفّذ أوامر يزيد من القتل والسبي والضرب وغير ذلك.

وكأنّها ترى أنَّ كلَّ ما خاطبته به غير كافٍ لِما يستحقه من شجبٍ وتعنيف!

فقالت: «**ثمّ كِد كيدك، واسعَ سعيك وناصب جهدك**»، الكيد: إرادة مَضَرّة الغير

---

(١) كتاب العين، للخليل بن أحمد.

(٢) المعجم الوسيط.

خُفية، والحيلة السيّئة، والخُدعة، والمكر[١].

جَهَد جهداً: جدّ يُقال: طلب حتى وصل إلى الغاية، والجهد، الوُسع والطاقة[٢].

هذا كلام يَطغى عليه طابع التهديد الشديد، مِن سيّدة أسيرة، ولكنَّها واثقة من نفسها - أعلى درجات الثقة - أنَّ جميع نشاطات يزيد - والفصول اللاحقة من مخطّطاته - سوف تفشل، وسوف لا يتوصّل إلى أيِّ هدف من أهدافه!! بل ترجع عليه بشكل مُعاكس، فكُرسيّه يتزعزع، وسلطته تضعُف، وقدرته تذهب!

فالسَّيدة زينب عليها السَّلام تريد أنْ تقول ليزيد: اصنع ما بدا لك، من تخطيط وتفكير، وقَتل وإبادة، وسَبي وأسر، وابذل ما في وسعك من جهود، فلن تصل إلى الهدف الذي حَلِمتَ به، وهو استئصال شجرة النبوة من جذورها بكلِّ أغصانها وفروعها وأوراقها، وعدم إبقاء صغير أو كبير من آل رسول الله رجلاً كان أو امرأة!

«**فو الله الذي شرّفنا بالوحي والكتاب، والنبوّة والانتخاب**»، القسم للتأكيد الأكثر، وهو - في الواقع - انعكاس آخر لعلوِّ مستوى درجة الثقة بالنفس والاتّكال على الله تعالى، واليقين بما يقوله الإنسان ويحلف من أجله، وعِلم السيدة بحوادث المستقبل، وما ستؤول إليه الأُمور، فإنَّ حوادث اليوم، وأحداث المستقبل تُعد - أمام عين السيدة زينب عليها السَّلام - على حدّ سواء، لأنَّ الله تعالى ميّزها عن بقية سيدات البشر بأنْ يتصل إليها العلوم مباشرة.. عن طريق الإلهام.. ودون تعلّم من البشر، ولذلك فإنَّ حوادث المستقبل معلومة وواضحة لها كالحوادث المعاصرة، ومثالها مثال مَن يُخرج رأسه مِن نافذة الغرفة، فيرى - بكلِّ وضوح - كلَّ ما هو موجود إلى آخر الشارع، وليس مثالها مثال من

---

(١) المعجم الوسيط.

(٢) المصدر نفسه.

يجلس في غرفة ويفتح النافذة فلا يرى إلَّا ما يُقابل النافذة فقط.

إنّنا نتلمّس – من كلمات القسم هذه – المعنويّات العالية التي كانت تمتاز بها السيدة زينب عليها السَّلام حين إلقائها لخطبتها، فهي تفتخر وتعتزّ بمزاياها الفريدة فتقول: «**فو الله الذي شرّفنا بالوحي والكتاب**»، فالقرآن الكريم نزل على جدِّ السيدة زينب عليها السَّلام وهو رسول الله سيّدنا محمَّد صلَّى الله عليه وآله وفي دارها.

وكذلك اختار الله هذه الأُسرة وانتخبها لتكون فيهم النبوّة، وكأنّها تُعرّض بكلامها ليزيد أن أنت بماذا تَعتز؟ وبماذا تفتخر؟!

وهل توجد فيك فضيلة واحدة كي تفتخر بها؟!

ولعلَّ السيدة زينب عليها السَّلام كانت تقصد – أيضاً – إسماع الجماهير الحاضرة في ذلك المجلس هذه الحقائق، ومِن باب المَثل الذي يقول: «**إيّاكِ أعني واسمَعي يا جارَة**».

وبعد كلمات القسم هذه تذكر السيدة زينب عليها السَّلام الأُمور التي أقسَمَت عليها:

«**لا تُدرِك أمَدَنا، ولا تَبلُغ غايتنا، ولا تمحو ذكرنا**»، أمدنا: الأمد: الغاية والنهاية[١].

أي: مهما بذلت من الجهود، وحاولتَ من المحاولات، فسوف تفشل في ذلك، فقد حاول ذلك مَن كان قبلك – وهو معاوية – فلم يستطع ذلك، رغم أنّه كان أقوى منك.

«**ولا يُرحَضُ عنك عارُها**»، يُرحض: يُغسل.

تُصرّح السيدة زينب عليها السَّلام بحقيقة واقعيّة: وهي أنَّ العار والخزي وسبّة التاريخ، سوف تكون ملازمة ليزيد إلى الأبد، ولن يتمكّن من غَسلها، لا هو ولا مَن

(١) المعجم الوسيط.

سيأتي بعده من الشواذ الذين يُشاركونه في الاتجاه واللؤم.

إنَّ التاريخ يقول: حينما بدأت الأُمور تنقلب على يزيد، فقد صارت مجالس تعليم القرآن الكريم في الشام يتحدّث فيها المعلّم عن جرائم يزيد في قتله الإمام الحسين عليه السَّلام وسبيه نساء آل رسول الله، ثمَّ بدأ الناس يُنقّبون ويَنبُشون في ملف يزيد، لِيَروا الفارق الواسع بين سيرته وأعماله، وبين ما سمعوه أو قرأوه عن سيرة الرسول الأعظم صلَّى الله عليه وآله.

لّما حدث كلُّ هذا بدأ يزيد يُلقي باللوم على ابن زياد، وصار يلعنه ويقول: إنَّه قتل الحسين من تِلقاء نفسه.

ولكنَّ جميع هذه المحاولات باءَت بالفشل والفضيحة الأكثر ليزيد!

«**وهل رأيُك إلَّا فَنَد، وأيّامك إلَّا عدد، وجمعك إلَّا بدَد**»، فند: الفند هو الخطأ في القول والرأي، وقيل: الفند هو الكَذِب(١).

لعلّ المعنى هو أنَّ رأيك - في تخطيطك ومحاولتك للتخلّص من مضاعفات جريمتك- خطأ وضعيف.

«**وأيّامك إلَّا عدد**»، العدد: هو الكميّة المتألّفة من الوحدات، فيختصّ بالمتعدّد في ذاته، وعدد: للتقليل: أي: معدود، هو نقيض الكَثرة(٢).

لعلّ المعنى: يا يزيد، إنَّ أيامك الباقية من عمرك قليلة، فسوف لا تبقى في هذه الحياة إلَّا أياماً معدودة، فأنتَ قريب إلى الموت والهلاك، وبعد ذلك سوف تلاقي جزاء أعمالك، فالعذاب منك قريب.

---

(١) كتاب تاج العروس، للزبيدي، والعَين، للخليل بن أحمد.

(٢) كما يُستفاد ذلك مِن كتاب تاج العروس، للزبيدي.

إنَّ جريمة قتل الإمام الحسين عليه السَّلام أثّرت تأثيراً سلبيّاً في مقدار عمرك، فجعلته قصيراً جدّاً.

فقد جاء في التاريخ، أنَّ يزيد عاش بعد فاجعة كربلاء سنتين وشهرين وأربعة أيام[١]، فلم يَتَهنّأ بطول الحياة وطول مدّة السُّلطة، كما كان يتمنّى ذلك، وكما كان يَتوقّعه بعد القضاء على منافسه – حسب زعمه – وهو الإمام الحسين عليه السَّلام.

«**وجمعك إلَّا بدَد**»، بدَد: يُقال بَدّهُ بَدّاً: أي فَرّقَه، وبَدّدَ الشيء: فَرّقَه[٢]، والتَبَدّد: التفرُّق[٣].

المعنى: سوف يتفرّق جمعك وجلاوزتك، وحاشيتك التي كنت تسهرُ معهم على مائدة الخمر والقمار والغناء، فسوف يغيبون عن عينك، لمرض أو موت، أو تتغيّر نظرتهم بالنسبة إليك، أو غير ذلك من الأسباب التي تجعل كلَّ يوم من الأيام يحمل لك حزناً وهمّاً جديداً، فلا تتهنّأ بمن حولك.

«**يوم ينادي المنادي: ألا لعن الله الظالم العادي**»، المعنى: يوم تموت، وتسمع صوتاً مرعباً لمنادٍ ينادي – من عند الله تعالى –: «**ألا لعن الله الظالم العادي**»، فأوّل شيء تسمعه بعد موتك هو هذا الصوت.

وعبارة «**لعن الله الظالم**» أي: أبعده عن رحمته وعفوه ومغفرته.

ثمَّ بدأت السيدة زينب عليها السَّلام تُمهّد لختام خطبتها الخالدة، فقالت:

«**والحمد لله الذي حَكَم لأوليائه بالسعادة، وختم لأصفيائه بالشهادة، ببلوغ الإرادة**»،

---

(١) ذكر ذلك الطبري (ت٣١٠هـ) في تاريخه، طبع لبنان: ج٥، ص٤٩٩.

(٢) المعجم الوسيط.

(٣) العين للخليل.

حَكَم لأوليائه: قضى لهم[١]، وقدّر لهم ذلك.

أصفياءه: الصفيّ مِن كلِّ شيء صَفوُهُ، وجمعُه: أصفياء[٢].

بقلب مفعم بالإيمان بالله تعالى، والرضا بما يختاره الله لعباده، بدأت السيدة زينب عليها السَّلام تختم خطبتها بحمد الله سبحانه الذي قضى لأوليائه بالسعادة، وتقصد من الأولياء - هنا -: الإمام الحسين عليه السَّلام - الذي هو سيد أولياء الله تعالى - وأصحابه الذي قُتلوا معه يوم عاشوراء، ونالوا - بذلك - شرف الشهادة.

إنَّ الإنسان الذي يلتزم بالدين، ويصنع من نفسه وليّاً لله - وذلك بأدائه لِلَوازم العبودية لله سبحانه - سوف يحظى بنتائج إلهيّة فريدة، وهي عبارة عن المِنَح المميزة، والألطاف الخاصّة التي يُفيضها الله عليه، والتي لا تشمل غيره من الناس، ومن أبرز تلك الألطاف الخاصة: السعادة الأبديَّة، ولعلَّ إلى هذا المعنى الرفيع أشار الله تعالى بقوله: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾[٣].

إنَّ أولياء الله تعالى كانوا يفكّرون باستمرار في جَلب رضى الله سبحانه.

أجَل، كان هذا هو الهدف الذي يُشغلون به بالهم، ويتحرّكون في هذا المدار ويدورون حول هذا المحور.

ومن الطبيعي أنّهم كانوا - وما زالوا - على درجات، فهناك مَن يكون وليّاً لله تعالى منذ السنوات الأُولى من حياته، وهناك من يصير ولياً لله تعالى في مرحلة متقدّمة من العمر.

---

(١) المعجم الوسيط.

(٢) المعجم الوسيط.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٠٥.

وعلى هذا الأساس يقضي الله عزَّ وجلَّ لهم بالفوز والتفوّق والسعادة الأبديّة، بجميع ما لهذه الكلمة من معنى.

وأحياناً يُقدّر الله تعالى لهم بعض المكاره والصعوبات، وذلك لأسرار وحِكَم يعلمها الله سبحانه، فترى الأولياء يُظهرون من أنفسهم كلَّ استعداد وتحمّل وتقبّل لتلك المكاره ويستقبلونها بصدر واسع وصبر جميل.

وختم الله تعالى لأصفيائه بالشهادة، فقد كانت حياتهم كلُّها خيراً وبركة من البداية إلى النهاية، فمِن المؤسف حقّاً أنْ يموت الوليّ ميتةً طبيعية على الفراش، بل المتوقّع له أنْ يوفّقه الله تعالى للشهادة والقتل في سبيله، لكي تكون لموته أصداءٌ تعود للدين بالفائدة، كما كانت حياته كذلك.

فقتلهم يوقظ الغافلين غير المُلتزمين بالدين، ويجعلهم يُفكّرون ويتساءلون عن سبب قتله رغم كونه إنساناً طيباً، ويبحثون عن هويّة القاتل، وهدفه من قتل هذا الرجل!

فتكون هذه الأصداء سبباً لعودة الكثيرين إلى الالتزام الشديد بالدين ومبادئه.

أليس كذلك؟!

ولعلَّ أولئك الأولياء هم الذين أرادوا أن يكون ختام حياتهم بالشهادة، وسألوا من الله عزَّ وجلَّ ذلك، فاستجاب الله – سبحانه – لهم دعاءهم، وقدّر لهم الشهادة في سبيل الله تعالى، ولعلَّ هذا هو معنى كلام السيدة زينب عليها السَّلام: «**بِبلوغ الإرادة**».

«**نقلهم إلى الرحمة والرأفة، والرضوان والمغفرة**»، المعنى: نَقَلهم إلى عالم تُرَفرف على رؤوسهم رحمة الله الواسعة المخصّصة للشهداء في سبيل الله تعالى، والرأفة: أي العاطفة الممزوجة باللطف والحنان، التي لا تَشمَل غير الشهداء الذين باعوا أعزَّ شيء لديهم –

وهي حياتهم – للدين، وفي سبيل المحافظة على روح الدين الذي كان يتجسّد في الإمام الحسين عليه السَّلام، وعدم الرُضوخ لبيعة يزيد الكافر.

«**والرضوان والمغفرة**» إنَّ القرآن الكريم يُصرّح بأنَّ أعلى وأغلى وألذّ نعمة يتنعّم بها بعض أهل الجنّة – وفي طليعتهم شهداء فاجعة كربلاء – هي شعورهم وإحساسهم بأنَّ الله تعالى راضٍ عنهم، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1].

هذا سوى ما يُعيّن لهم من أنواع النِعَم والكرامة والاحترام اللائق الذي لا مَثيل له في عالم الدنيا!

يُضاف إلى ذلك أنَّ الرجل الذي يُقتَل في سبيل الله بنيّة خالصة سوف يمرّ نسيم العفو والمغفرة على ما صدر منه من مخالفات، فيصير ملفّه أبيض لا سواد فيه.

إنّنا نقرأ في دعاء صلاة يوم عيد الفطر والأضحى: «... **وأهل العفو والرحمة وأهل التقوى والمغفرة**»، وهذا لجميع المؤمنين التائبين، ولكنَّ الشهيد يمتاز بمزايا وتسهيلات خاصّة قرّرها الله تعالى للشهداء فقط.

هذا إذا كان الشهيد إنساناً عادياً غير معصوم من الذنوب، أمَّا إذا كان معصوماً فلا توجد في صحيفة أعماله ذنوب أو معاصٍ، فيكون معنى المغفرة بالنسبة إليه علوّ درجته في الجنّة، واختصاصه بمنح فريدة كالشفاعة للآخرين، وغير ذلك من المميّزات.

وأمَّا سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السَّلام فقد خاطبه الله تعالى – بقوله –: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي

(١) سورة التوبة، آية: ٧٢.

(٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾، فقد روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السَّلام أنَّ المقصود والمُخاطب بهذه الآية: هي نفس الإمام الحسين عليه السَّلام[١].

وكم تتضمّن هذه الآيات من كلمات وضمائر عاطفيّة!!

«**ولم يَشقَ بهم غيرك**»، المعنى أنَّ الذي صار شقيّاً وتعيساً ومطروداً من رحمة الله هو أنت يا يزيد، بسبب قتلك إيّاهم وقضائك على حياتهم، وطعنِك في قلب الإسلام النابض وهو الإمام الحسين عليه السَّلام.

«**ولا ابتُلِيَ بهم سواك**»، إنَّ الذي امتُحنَ بالقدرة والسُّلطة ومشاهدة كرسيّ الملك الذي مهّده له معاوية، فأراد القضاء على كلِّ من لا يركع له، وبذلك فشل في الامتحان فشلاً ذريعاً هو أنت أيّها الخامل الحاقد!

أمّا الذين قُتِلوا مع الإمام الحسين عليه السَّلام ونالوا شرف الشهادة معه، فهم قد نجحوا في الامتحان نجاحاً باهراً وفوزاً متوالياً متواصلاً، أي كما كانوا مِن قَبل الشهادة – أيضاً – في مرتبة عالية من سلامة الفكر والعقيدة والسلوك، والطاعة التامّة لإمام زمانهم الحسين عليه السَّلام.

فهم – الآن – في أعلى درجات الجنان والتي يُعبّر عنها بـ(الفردوس الأعلى).

أمّا أنت – يا يزيد – فسوف يكون مصيرك في أسفل دَرَك من الجحيم، وفي ذلك التابوت الذي يُمدّ جميع طبقات جهنّم بالحرارة العالية التي لا يُمكن للبشر – في هذه الدنيا – أنْ يتصوّر درجة حرارتها وشدّة اشتعالها.

قال تعالى – بالنسبة لأهل النار –: ﴿ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴾[٢]

---

(١) تفسير البرهان، السيد هاشم البحراني، عند تفسير الآيات ٢٧–٣٠ من سورة الفجر.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ١٧.

وقال جلّ ثناؤه: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾[1].

«**ونَسأله أن يُكمِل لهم الأجر، ويُجزل لهم الثواب والذخر**»، أكمَلَ الشيء: أتمّه، وفي القرآن الكريم: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[2] ويقال - أيضاً -: الكَمَلُ: الكامل، يُقال: أعطاه حقّه كملاً: وافياً[3].

يُجزِل: الجَزَلُ: العطاء الكثير، ويُقال: أجزَل العطاء[4].

والجَزَلُ: الكثير من كلِّ شيء[5].

الثواب: الجزاء والعطاء[6]، وقيل: هو الجزاء الذي يُعطى مع الاحترام والإجلال والتقدير، وليس مجرّد إعطاء الجزاء[7].

الذُخر: يُقال: ذَخَر لنفسه حديثاً حسناً[8].

المعنى: ونسأل الله تعالى أن يُكمِلَ لهم الجزاء المخصّص للشهداء، جزاءً تامّاً يَليقُ بتقدير الله سبحانه للشهداء المخلصين، الذين تركوا زوجاتهم أرامل، وأطفالهم أيتاماً، وأمّهاتهم ثُكالى، كلُّ ذلك في سبيل الله تعالى!

فيُعطيهم العطاء الكثير الوافر، مع الاحترام والتقدير، إذ قد يَدفع الإنسان الأجرة

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٧٧.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٣) المعجم الوسيط: ج٢، ٧٩٩.

(٤) كتاب العَين للخليل بن أحمد: ح٦، ص٦٧.

(٥) المعجم الوسيط: ج٢، ص٨٠١.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) كما يُستفاد من كتاب مجمع البحرين، للطريحي.

(٨) المعجم الوسيطج١، ص٢٨٠.

إلى العامل مِن دون أن تكون كيفيّة الإعطاء مقرونة بالاحترام، أمّا الثواب: فهو إعطاء الأجر مع الحفاوة والتعظيم، والاحترام والابتسامة واللُطف.

ويَكتُب لهم الثناء الجميل والذكر الحسن، على ألسنة الناس وفي صفحات التاريخ.

وقد استجاب الله تعالى دُعاء السيدة زينب العظيمة عليها السَّلام، فقد رُوي عن الإمام جعفر الصادق عليه السَّلام أنّه قال: «**ما مِن عبدٍ شرِب الماء فذكر الحسين عليه السَّلام ولعن قاتله إلّا كتب الله له مائة ألف حسنة، وحطّ عنه مائة ألف سيّئة، ورفع له مائة ألف درجة، وكأنّما أعتق مائة ألف نَسَمة، وحشره الله تعالى يوم القيامة ثَلجَ الفؤاد**»[١].

وروي عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السَّلام أنّهما قالا: «**إنَّ الله تعالى عوّض الحسين عليه السَّلام عن قتله أنْ جعل الإمامة في ذريّته، والشفاء في تربته، وإجابة الدعاء عند قبره، ولا تُعدّ أيام زائريه – جائياً وراجعاً – مِن عمره**»[٢].

وقد روي – أيضاً – عن الإمام جعفر الصادق عليه السَّلام أنّه أمَر رجلاً كان يريد الذهاب إلى زيارة قبر الإمام الحسين عليه السَّلام أنْ يزور قبور الشهداء – بعد الفراغ من زيارة الإمام الحسين عليه السَّلام – ويُخاطبهم بهذه الكلمات:

«**... بأبي أنتم وأُمّي طبتم وطابت الأرض التي فيها دفنتم، وفزتم فوزاً عظيماً...**»[٣].

«**ونسأله حسنَ الخلافة، وجميل الإنابة، إنّه رحيم ودود**».

---

(١) كتاب كامل الزيارات، ابن قولويه: ص١٠٦.

(٢) كتاب بحار الأنوار: ج٤٤، ص٢٢١، باب٢٩، نقلًا عن كتاب أمالي الطوسي.

(٣) مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي: ص٧٢٣.

الخلافة: يُقال خَلَف فلان فلاناً خلفاً وخِلافةً: جاء بعده فصار مكانه[١]، وفي الدعاء: أخلَفَ الله لك وعليك خيراً».

وفي الدعاء أيضاً: «**واخلُف على عَقِبِه في الغابرين**».

الإنابة: الرجوع إلى الله، قال سبحانه: ﴿ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ ﴾.

المعنى: ونسأل الله تعالى أنْ يُخلِّف لنا عمّن فقدناه أفراداً صالحين، يسدّون بعض الفراغ الذي تركه مقتل أولئك الصفوة الطيّبة من رجال آل رسول الله صلَّى الله عليه وآله بأن يجعل في البقيّة الباقية منهم خيراً.

أو أنْ يجعل مستقبلنا مستقبلاً حسناً مريحاً، بعد ما شاهدناه وعانيناه من المصائب الفجيعة التي لن تُنسى!!

انتهت السيدة زينب البطلة الشجاعة، مِن إلقاء خطبتها الخالدة.

والآن توجّهت أنظار الحاضرين إلى يزيد الحاقد لِيَروا منه ردود الفعل، فما كان منه سوى أنّه عَلّق على هذه الخطبة المفصّلة بقوله:

**يا صيحةً تُحمدُ من صوائح ما أهونَ الموت على النوائح**[٢]

فهل انعقد لسانه عن إجابة كلِّ فقرة من فقرات تلك الخطبة؟!

أو أنَّ أعصابه أُصيبت بالانهيار والاهتزاز، فلم يستطع التركيز والردَّ؟!

(١) كما يُستفاد من مجمع البحرين للطريحي.

(٢) وفي نسخة: (ما أهون النوح على النوائح) ولعلّه (لعنه الله) يقصد من إنشاده لهذا الشعر: أنها امرأة مفجوعة.. دَعها تتكلّم بما تُريد، فإنّ ذلك لا يُهمّني!

أو رأى أنَّ الإجابة والتعليق يُسبّب له مزيداً من الفضيحة أمام تلك الجماهير الغفيرة الحاشدة في المجلس، فرأى السكوت خيراً له من خَلق أجواء الحوار مع ابنة الإمام أمير المؤمنين عليه السَّلام التي ظَهَرت جدارتها الفائقة على مقارعة أكبر طاغوت، بكلام كلّه صدقٌ، واستدلال منطقي وعَقلي مُقنع، خاصة وأنَّ الجُمل الأخيرة – التي كانت تَحمل في طيّاتها التهديد المُرعب – جعلت يزيد ينهار رغم ما كان يشعر به مِن تجبّر وكبرياء[١].

---

(١) لقد ذُكرت خطبة السيدة زينب (عليها السَّلام) في مجلس يزيد. ينظر: كتاب مقتل الإمام الحسين عليه السلام، الخوارزمي: ج٢، ص٦٣. كتاب نثر الدرر، منصور بن الحسين الآبي (ت٤٢١هـ)، طبع مصر: ج٤، ص٢٦. كتاب بلاغات النساء، ابن طيفور (ت٢٨٠هـ). كتاب معالي السبطين، الشيخ محمد مهدي المازندراني الحائري. كتاب تظلّم الزهراء، القزويني، طبع بيروت: ص٢٨٣. كتاب الإيقاد، السيد الشاه عبد العظيمي: ص١٧٣.

# الفصل الثالث

## الدور الصمودي والأهداف

## المبحث الأوَّل: دور السيدة زينب عليها السَّلام في فضح بني أُميَّة:

حاول بنو أُميَّة (لعنهم الله) بكلِّ ما يملكون من تجبّر وطغيان إركاع الثورة الحسينية بإركاع رموزها، وما انفكوا يقرعون طبول الغدر والخيانة ليجتمع الناس حولهم بغية ردع الثورة وقهر الثوار، ولكنَّ مشيئة الله كانت هي الأقوى لإعلاء كلمة الحقِّ ونصرة الدين وفضح الباطل، ومن الرموز التي حاول الأُمويون قهرها وإطفاء نورها هي السيدة زينب عليها السَّلام.

فقد حاولوا جاهدين إخضاعها أمام تلك المصائب التي توالت عليها والمحن التي عانتها بعد مقتل أخيها الحسين عليه السَّلام، ليقتلوا بذلك آخر نفس في البيت الهاشمي، وليخمدوا صوت الحقِّ ويطمسوا معالم الصدق بخبثهم ومكرهم.

ولكنَّ عميدة البيت الهاشمي الرفيع أبت إلَّا أنْ تقف صامدة بوجه تلك الطغمة الأُمويَّة الفاسدة.

فخيبت آمالهم وكسرت أصنامهم وهزَّت عروشهم بصوت عليٍّ والحسين (سلام الله عليهما)، فكان لها عليها السَّلام الدور البارز والمهم في منع الإعلام الأُموي آنذاك من نشر بدعه وضلالته وآرائه الفاسدة المزيفة التي نسجتها يد المكر والخديعة وحاكتها أصابع الشيطان الغوي بما ينسجم مع مصالحهم الخاصة، فقد وقفت عليها السَّلام بوجه الدعايات الأُمويَّة المختلفة التي اصطنعوها ليبرّروا بها شناعة فعلهم وعظم جرمهم بقتل الحسين عليه السَّلام.

ومن المعلوم أنَّ الوسائل الإعلاميَّة يومها كانت بيد الحكومة الجائرة المتمثلة بحكومة

يزيد (لعنه الله)، فقد قاموا بشن حملة دعائيَّة واسعة ضدَّ الثورة الحسينيَّة لتبرير الجرائم الشنيعة التي ارتكبوها ضد الحسين وأهل بيته (عليهم السَّلام)، ولكي يقنعوا العامة من الناس ويمتصوا غضب الخاصة منهم ممَّن كان يوالي أهل البيت (عليهم السَّلام)، ولجعلهم يدورون في فلك الحكم الأُموي محققين بذلك المصالح والمطامع التي من أجلها تسلقوا على أكتاف المسلمين ليصلوا إلى ما وصلوا إليه.

ومن جملة النكات المهمَّة التي ركزوا عليها هو سلب الشرعيَّة عن الثورة الحسينيَّة وجعلها غطاءً لهم، فزعموا أنَّ الحسين عليه السَّلام جائر بخروجه على يزيد (لعنه الله)، فيزيد خليفة المسلمين والإمام المفترض الطاعة، ولا يحقُّ للحسين عليه السَّلام أنْ يتمرد على إمام زمانه، فإنْ لم يبايع ويتبع حَلَّ دَمُهُ وكان من العاصين، خصوصاً بعدما أيدوا هذا المعنى ببعض الكتب التي علقوها على أبواب المساجد ممَّن باع دينه بدنياه من أبواق الظلمة وأتباع الشيطان كشريح الشقي (عليه لعائن الله)، وممَّا ساعد على نشر هذه الأضاليل وتصديق الناس إياها ما كان يتمتع به المجتمع الأُموي من مبادئ معادية للخط الرسالي لأهل البيت (عليهم السَّلام) بسبب التربية الأُمويَّة لذلك المجتمع، الذي سرعان ما تلقف بدعهم وضلالاتهم، كونه مغرساً جيداً لها فنبتت بذور الشرك والإلحاد، لتنتج مجتمعاً معوجاً منحرفاً عن الجادة الحقة منقاداً لآراء أَسيادِهِ الأُمويين منسجماً مع أهوائهم، جاعلين منه أداة لقمع أئمة الحقِّ وأتباع الهدى.

فكانت هذه العوامل وعوامل أُخرى سبباً في منع السيدة زينب عليها السَّلام من إبلاغ رسالتها بصورة طبيعيَّة، بل كانت تصبُّ في مصلحة العدو وداعماً قوياً لدعايته ضدَّ أهل البيت (عليهم السَّلام) وحائلاً دون نجاح مهمَّة العقيلة عليها السَّلام في إتمام دورها كحاملة لرسالة أبي الأحرار عليه السَّلام.

ولكنَّ تلك المرأة العظيمة التي ساخت الجبال وما ساخ صبرها وقفت بكلِّ إصرار وعزيمة وإرادة وبدون أي تردد أمام تلك العقبات لتذللها العقبة تلو الأُخرى بروح ملؤها الإصرار والحزم، حتى شاء الله تعالى اسمه أن تكون المتممة لمسيرة أبي عبد الله الحسين عليه السَّلام.

فقد وقفت بتلك النفس المتعالية السامقة المملوءة عزماً وثباتاً مصرَّة على مقارعة الباطل بكلِّ أطيافه، فاضحة للناس حقيقة يزيد وأتباعه الجبابرة ومدى تنكبهم عن الصراط المستقيم، واستهانتهم بمقدرات الأُمَّة ودماء المسلمين، فكان ذلك تعرية لحكومة يزيد وأتباعه الظلمة.

فما كان منها عليها السَّلام إلَّا أنْ تتصدى بنفسها للخطابة جهاراً أمام الناس رجالاً ونساءً وهي المخدرة بل سيدة المخدرات التي ما رؤي لها شخص وما سُمع لها صوت.

ولكنَّ الطابع الخاص للظروف التي مرّت بها السَّيدة زينب عليها السَّلام ومقتضيات المنهج الذي حارب من أجله الإمام الحسين عليه السَّلام ودواعي إتمام المسيرة الحسينية، وتخليداً لدماء الشهداء من آل البيت عليهم السَّلام وأنصارهم، وكشفاً لكثير من الحقائق الغامضة جعلها عازمة للتصدي بنفسها عليها السَّلام، فوقفت صادعة بالحقِّ ناطقة به كأنَّها تفرغ عن لسان أبيها أمير المؤمنين عليه السَّلام، وقد أومأت إلى الناس أن اسكتوا فسكتوا فارتدت الأنفاس وسكتت الأجراس، ثمَّ انحدرت عليها السَّلام كأنَّها السيل الهادر تتدفق الحكمة من منطقها.

وكان لهذه الخطبة العصماء أثرها الواضح في نفوس الناس، ممَّا جعلهم يضجون بالبكاء ندماً على ما فعلوه مع أئمة الحقِّ ودعاة الصدق من الخذلان وعدم النصرة.

فكانت هذه هي الخطوة الأُولى في طريق الجهاد الزينبي، إذ استطاعت عليها السَّلام أنْ تقرر حقيقة كبرى في أذهان الناس آنذاك بإماطتها حجب الباطل عن وجه الحقيقة، لتنزع الشرعيَّة المزعومة لخلافة يزيد وتكسر حاجز الضلال الذي آل إليه أمر الناس آنذاك، بسبب الفهم الفاسد لكثير من المعتقدات التي رسخها معاوية وأتباعه في أذهان بعض المسلمين ممَّن انجروا خلف الدنانير الأُموية أو إنطلت عليهم الحيل الشيطانية، التي تمتع بها معاوية ليضل بها الناس عن القيم الإسلاميَّة الحقَّة ويسحبهم إلى طريق الباطل، خدمة للمصالح الأُمويَّة الاستبداديَّة اللامشروعة.

فبيّنت لهم أنَّ فعل يزيد الفاسق ومن نصره من رجالكم مريدي الدنيا وناصري الباطل وخاذلي الحقّ، كان هدماً لركن الدين وفرياً لكبد النبيِّ صلَّى الله عليه وآله ونكثاً لعهد الله وهتكاً لحرمة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسفكاً لدمه الشريف، حتى كادت السماء أنْ تنفطر وتنشق الأرض وتخرَّ الجبال هداً، فكشفت لهم عن وجه فعلتهم الشنيعة وأشعرتهم بخسة أفعالهم وسوء منقلبهم وعظم جرمهم، فأصبحوا يؤنب بعضهم بعضاً يتلاومون على ما فعلوه، فتفرّقت كلمتهم وتبدّدت جموعهم وانشقت صفوفهم حتى آل أمرهم إلى الشتات.

وكان هذا أَوَّل مكسب حققته العقيلة عليها السَّلام على صعيد الثورة، فقد أيقظت الضمائر النائمة، وأثارت دفائن العقول، وكشفت عن زيف الباطل، فحطمت تلك الادّعاءات التي شمخت بها أنوف الكفرة ممَّن ينسبون إلى الإسلام وهو منهم براء.

**المبحث الثاني: صمودها عليها السَّلام بوجه الحكومة الجائرة:**

استطاعت السَّيدة زينب عليها السَّلام وبفضل ما تملكه من روحيَّة عالية أنْ تأخذ دوراً أساسياً يؤمن لها الوصول إلى الأهداف الإساسية التي خرج من أجلها الإمام الحسين عليه السَّلام، ولم يكن ذلك وليد صدفة أو نتيجة تلقائيَّة لم يخطط لها من قبل، بل إنَّ الجهود العظيمة التي بذلتها السَّيدة زينب عليها السَّلام والتصدي المباشر من قبل الإمام زين العابدين عليه السَّلام من خلال الخطب التي تضمنت الاحتجاجات الواضحة على النظام الفاسد والتي بأُسلوبها الثوري الهادف، كانت سبباً لتعرية النظام الأُموي ولفضح أساليبه الخبيثة التي سعى من خلالها إلى ترسيخ دعائم ملكه وإرساء قواعده.

فقد التفت كثير ممَّن تسربلوا سربال العافية وخافوا المواجهة مع الحكومة الجائزة آنذاك، بأنَّ سكوتهم هذا أدَّى إلى تجبُّر أولئك الظلمة واستهانتهم بالقيم والمبادئ الإسلاميَّة، واتاح لهم الفرصة لتشظية المجتمع واستنفاد قواه وإركاع الشرائح الصالحة فيه، ومحاولة جرّها خلف حكومتهم الفاسدة لغرض تأييدها، فقد كانوا يصوّرون للناس بأنَّ الحاكم الأُموي يتمتّع بشرعيَّة الخلافة وأحقيتها، وأنَّه منصب من قبل الله تعالى بالقضاء الإلهي وإنَّ كلَّ معارض ورافض لهذا الأمر فهو معارض لإرادة الله تعالى، إمَّا أنْ يتوب ويقرَّ بشرعيَّة الخلافة أو يُعدّ خارجاً عن بقيَّة المسلمين ومنحرفاً عن جادتهم.

فسوغوا قتله وإنْ تعلق بإستار الكعبة وهذا ما جرى مع الحسين عليه السَّلام؛ لذا فإنَّ الواجب المقدَّس الذي أُلقي على عاتق السَّيدة زينب عليها السَّلام لم يكن هيناً وهي تقف أمام هذا الكمِّ الهائل من التيارات العنيفة والمواجهة الحادة، فقد لاقت عليها السَّلام أشدَّ المعاناة من قبل السُّلطة الأُمويَّة آنذاك، ولكنَّها لم تنحنِ أمام تلك المصائب والمحن، بل استطاعت عليها السَّلام بقوَّة بصيرتها وعلو همّتها ورسوخ عقيدتها، أن تدحض الخصم

وتهدم كيانه الأجوف وتزلزل الأرض تحت أقدامه، ليهوي صريعاً إلى قعر الذل والهوان أمام ذلك الجبل الشامخ من الإباء والصمود، فقد استطاعت العقيلة عليها السَّلام أنْ تطوي طريق المائة عام في ليلة واحدة، وذلك بجذبة ربانيَّة من المولى القدير، فقد أسلمت العقيلة عليها السَّلام وعيالها ومن معها أمرها إلى الله سبحانه وتعالى فشملتها الرعاية الربانيَّة والرحمة الإلهيَّة وحقَّ على الله تعالى أنْ ينصر عباده المخلصين.

فشمَّرت عليها السَّلام عن ساعد الهمَّة متّكلة على الحقِّ تعالى في إنجاز مهمتها، فجاءت بإمر ما كانت الدنيا لتأتي بمثله، فكانت المثل الأعلى الذي قدَّمته الرسالة الإلهيَّة للمرأة، فبوركت العقيلة عليها السَّلام أُمَّاً وأُختاً وبنتاً وقائداً ورمزاً رائعاً لنساء الإسلام ومخدراته اللواتي يبحثن عن المجد والكرامة والخلود.

## المبحث الثالث: مجموعة الأهداف التي حققتها السَّيدة زينب عليها السَّلام

إنَّ المساحة التاريخيَّة التي شغلتها السَّيدة زينب عليها السَّلام بعد ثورة أبي الأحرار عليه السَّلام مثَّلت مرحلة سياسيَّة وتاريخيَّة بارزة اكتسبت أهميتها من أهميَّة تلك الشخصيَّة ودورها البارز في إحياء الدماء الثائرة لدينها.

فاستطاعت أنْ تحقق خلالها جملة من الأهداف التي أحدثت تغيراً واضحاً وملموساً في المجتمع آنذاك فنلخصها فيما يلي:

١- استطاعت عليها السَّلام أنْ تحدث انعطافاً سياسياً مهمَّاً على صعيد الثورة، فقد جعلت الرأي العام مؤيداً للثورة الحسينيَّة ومعتقداً بشرعيتها، بعد أنْ كان معارضاً لها، وبهذا فقد صنعت خطأً معادياً للحكومة يعدّ أضخم قاعدة شعبيَّة في مسرح الحياة آنذاك.

٢- أسست المنبر الحرَّ النسويَّ الذي دوَّى في أرجاء الكوفة والشام، ليصك أسماع

الجبابرة بصرخة الحقِّ التي أيقظت الضمائر النائمة في النفوس المظلمة.

٣- أسقطت أقنعة الزيف والخداع عن وجوه الشرِّ والرذيلة لتنكشف للناس كثير من الحقائق الخافية، فيعلموا حجم الوهم الراسخ في أذهانهم بسبب سياسة الحيلة والخداع التي استعملها الأُمويون معهم.

٤- صرَّحت وبشجاعة منقطعة النظير غير متوقعة من امرأة يفترض أنْ تكون حائرة الفكر تجاه المصائب التي لاقتها وفي أكثر من مجلس من مجالس الحكم الجائر آنذاك، كمجلس يزيد وعبيد الله بن زياد اللذين يعتبران ترسانة الحكم الأُموي، صرَّحت بعدم مشروعيَّة الخلافة الأُموية وبأنَّهم حكام جور وضلال، وما فعلوه مع الإمام الحسين عليه السَّلام يُعدّ هدماً لشرعية السماء وطمساً لمعالمها السامية.

٥- أحدثت تغييراً جذرياً للانحراف العقائدي الراسخ في أذهان الناس آنذاك، بسبب التزييف المبتكر من قبل معاوية وزمرته، لما أوردوه من أحاديث نسبوها إلى النبيِّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله، وهو منها براء، تدلُّ على لا بُديَّة إطاعة الحاكم وإنْ كان جائراً ظالماً، لإضفاء الشرعيَّة على حكوماتهم غير الشرعيَّة.

٦- كانت خطبها عليها السَّلام صواعق تلهب الأسماع وتحرق القلوب والأذهان وتوقظ النيام وترشد الضالين، لما حوته من حسن منطق وبيان عجيبين، حتى قال قائلهم: (لم أرَ خفرة أنطق منها)، ممَّا أدَّى إلى تفاعل الجماهير مع دعوتها وتأثرهم بتيار أهل البيت عليهم السَّلام، فاستطاعت بهذا أنْ تحرّك الشارع وتصنع جيلاً من الثائرين.

# الفصل الرابع

## المسيرة - المشيئة - مواقف عبد الله بن جعفر الطيار





## المبحث الأَوَّل: المسيرة والمشيئة

### المطلب الأَوَّل: أسئلة حول مسيرة الثورة

هناك سؤال يثار بين الفينة والأُخرى، قد تصدر من مستفهم يحاول الوصول إلى الحقِّ بطلب المعرفة، أو من ناصب يحاول الانتقاص من رموز ثورة الإمام الحسين عليه السَّلام ومنهم عقيلة بني هاشم السَّيدة زينب عليها السَّلام؛ لذا ونحن هنا على نحو العجالة نحاول أنْ نجيب عن بعضها ومنها:

قولهم: لماذا حمل الإمام الحسين عليه السَّلام أُخته الحوراء زينب وبقية النساء إلى كربلاء؟

إنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام باعتباره قائداً لحركة ثوريَّة إصلاحيَّة غايتها تحرير المجتمع من الأغلال التي وضعتها السُّلطة الأُمويَّة، ومن كانت حاله هذه فهو مهدد بالقتل في أيّة لحظة؛ لذا يتوجه السؤال عن سبب حمل نسائه وأطفاله معه خصوصاً مع علمه بما سيحصل لهم.

وللإجابة عنه يمكن لنا أنْ نتصور مجموعة من الأَجوبة:

١- إنَّ الإمام الحسين عليه السَّلام لم يكن أمامه خيارات كثيرة بالنسبة لأُسرته، فلو افترضنا أنَّه قرر عدم إلحاقهم بركبه، فمن الوارد جداً أنْ يشكلوا ورقة ضغطٍ كبيرة تستعملها السلطات الأُمويَّة ضدَّه، وذلك عبر اعتقالهم جميعاً، كي يسلم الإمام نفسه، وهذا الأمر ليس بالفعل المستغرب أو البعيد عن أخلاقيات الأُمويين، فلقد قاموا

بالصنيع ذاته مع الصحابي الجليل عمرو بن الحمق الخزاعي (رضوان الله عليه)، فقد روى ابن بكار في أخباره:

قال: لَمَّا قُتل علِّي بن أبي طالب عليه السَّلام بعث معاوية في طلب شيعته، وكان ممَّن طُلب عمرو بن الحمق الخزاعي، فراغ منه، فأرسل إلى أمراته آمنة بنت الشريد فحبسها في سجن دمشق سنتين، ثمَّ إنَّ عبد الرحمن ابن أُمِّ الحكم ظفر بعمرو بن الحمق في بعض الجزيرة فقتله وبعث برأسه إلى معاوية، وهو أَوَّل رأس حمل في الإسلام، فلمَّا أتى معاوية الرسول بالرأس بعث به إلى أمرأته آمنة بنت الشريد، وقال للحرسي احفظ ما تتكلَّم به حتى تؤدّيه إليَّ واطرح الرأس في حجرها.

فلمَّا أتاها الرسول بالرأس وطرحه في حجرها ارتاعت له ساعة ثمَّ وضعت يدها على رأسها ثمَّ قالت:

(واحزناه لصغره في دار هوان وضيق مجلس سلطان، نفيتموه عنِّي طويلاً ثمَّ اهديتموه إليَّ قتيلاً، فأهلاً وسهلاً بمن كنت له غير قالية، وأنا اليوم له غير ناسية، ارجع أيّها الرسول إلى معاوية وقل له ولا تطوه أيتم الله ولدك وأوحش منك أهلك ولا غفر لك ذنبك)[١].

فهذه الحادثة لم تكن بعيدة عن تصور الإمام الحسين عليه السَّلام، ومن الممكن جداً أنْ تتكرر معه، خصوصاً وأنَّ المدينة لم تكن تمتلك الدفاعات العسكريَّة أو وفرة الأنصار المستعدين للدفاع عن حرم الرسالة، وحتى لو سلَّمنا جدلاً أنَّ الإمام عليه السَّلام كان يستشعر الأمن والأمان على نسائه وعياله وقرر إبقاءهم في مدينة جدِّه المصطفى صلَّى الله عليه وآله، وخرج لطلب الإصلاح في أُمَّة جدِّه صلَّى الله عليه وآله في مواجهة يعلم مسبقاً أنَّ العدو يطلبه بنفسه، ولو أمسك به فسيقتله لا محالة، وسيواجه المصير ذاته أهل بيته

(١) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان: ص١٥.

الكرام من إخوته وأبناء عمومته في أيِّ أرض قصدوها، وإذا ما تعرَّض الرجال للإبادة الجماعيَّة وهو الأمر المقطوع به كما صرَّح به الإمام عليه السَّلام: «**كأنِّي بأوصالي تُقطّعها عَسْلانُ الفلوات بين النّواويس وكربلاء، فيملأن منِّي أكراشاً جوفاً وأجربةً سغباً، لا مَحيصَ عن يومٍ خُطَّ بالقَلَمْ، رِضَا اللهُ رضانا أهلَ البيتِ، نصبرُ على بلائِهِ ويُوفِّينا أجورَ الصّابرين، لنْ تَشُذَّ عن رسول اللهِ لَحمتُهُ، بل هي مجموعةٌ لهُ في حظيرةِ القُدْسِ، تُقرُّ بِهِمْ عينُه ويُنجزُ بهم وعدَه**»[١].

وعن هذا التصور يقول الشيخ عبد الواحد المظفر:

الحسين عليه السَّلام لو أبقى النساء في المدينة لوضعت السُّلطة الأُمويَّة عليها الحجر، لا بل اعتقلتها علناً وزجتها في ظلمات السجون، ولا بُدَّ له حينئذٍ من أحد أَمرين خطيرين، كلٌّ منهما يشلُّ أعضاء نهضته المقدّسة، إمَّا الاستسلام لأعدائه وإعطاء صفقته لهم طائعاً، ليستنقذ العائلة المصونة، وهذا خلاف الإصلاح الذي ينشده، وفرض على نفسه القيام به مهما كلّفه الأمر من الأخطار، أو يمضي في سبيل إحياء دعوته، ويترك المخدّرات اللواتي ضرب عليهنَّ الوحي ستراً من العظمة والإجلال، وهذا ما لا تطيق احتماله نفس الحسين الغيور، ولا يردع بني أُميَّة رادع من الحياء، ولا يزجرها زاجر من الإسلام.

إنَّ بني أُميَّة لا يهمّها اقتراف الشائن في بلوغ مقاصدها، وإدراك غاياتها فتتوصّل إلى غرضها ولو بارتكاب أقبح المنكرات الدينيَّة والعقليَّة، ألم يطرق سمعك سجن الأُمويين لزوجة عمرو بن الحمق الخزاعي، وزوجة عبيد الله بن الحرِّ الجعفي، وأخيراً زوجة الكميت الأسدي[٢].

---

(١) المجالس السنية، ج١، ص٦٤.

(٢) نقلًا عن الأيام المكية من عمر النهضة الحسينية: ص١٠٥.

٢- لو غيَّر الإمام عليه السَّلام وجهة نظره وقرر عدم اصطحابهن، فلن تكون ردَّة فعلهن عندما يصلهن نبأ استشهاد الإمام الحسين عليه السَّلام أكثر من النواح والبكاء؟ ومن المؤكد أنَّ هذا البكاء سيكون في المدينة وحدها، ولأيام معدودة من الزمن كما حدث مع باقي الأئمة (عليهم السَّلام)، وحينها سينتهي كلُّ شيء ولن يكون لهنَّ أيُّ دور في القضية أبداً، ولا تبقى للنساء أيّة مهام أو مسؤوليات أمام هذه الثورة التي ستستباح فيها كلُّ المقدسات، بما في ذلك المعصوم نفسه عليه السَّلام، وهذا الأمر كما هو المعهود منه سيرسم صورة سلبيَّة للمرأة وإظهارها بصورة المنـزوية، وهذه الصورة الهامشية لا تتناسب أبداً مع قوة الشخصية التي تتمتع بها نساء أهل البيت (عليهم السَّلام)، سيما وأنَّ بعضهن قد عاشت أوجاع البيت المحمَّدي، خاصّة بعد وفاة الرسول الأعظم صلَّى الله عليه وآله، وأَوَّل تلك الأوجاع هو ظلامة الزهراء عليها السَّلام.

فلو كانت تلك الرحلة خالية من عقيلة بيت النبوَّة وأخواتها لأمكنْ أنْ تذهب الغاية التي من أجلها بادر الإمام عليه السَّلام إلى الخروج والتعرض لتلك المجزرة الرهيبة مع أهل بيته وأنصاره، سيما وأنَّ العوامل المساعدة على هذا الأمر كانت مساعدة جداً، نظراً إلى جغرافية أرض المعركة التي جرت أحداث عاشوراء الأليمة عليها، حيث الطبيعة الصحراوية، ممَّا يعني غياب الشهود، وليس الأمر مقتصراً على هذا فحسب، بل لعلَّه ستبقى مسألة رفض الإمام عليه السَّلام لبيعة الأُمويين أمراً غامضاً عند السواد الأعظم من الناس، فلا بُدَّ له من كادر متخصص يرفع السحب التي أحاطت بهذا الواجب المقدس، أو قل لا بُدَّ من توفير جهاز إعلاميٍّ واعٍ، مهمته بيان الأهداف الرسالية المقدَّسة التي نهض من أجلها أبو الأحرار، في قبال الجهاز الإعلاميِّ الأُمويِّ الذي مارس التشويش والتضليل وشراء الذمم.

يقول الشهيد المطهري: (التكتيك التبليغي هو حمله لأهله وعياله وأولاده في القافلة الحسينيَّة، وبهذه الطريقة يكون قد استخدم العدو استخداماً غير مباشر من خلال فرض هؤلاء الناس كحربة تبليغيَّة ورسل دعاية للإسلام الحسيني ضدَّ يزيد).

ويضيف: (أنَّ الإمام استخدم عدداً من المبلغين الذين أخذهم العدو بيده وبإرادته لينفذوا إلى قلب حكومة العدو في الشام، وهو بحدِّ ذاته تكتيك يفوق التصور الاعتيادي)[1].

فلم تكن المجموعة من النساء التي اصطحبها الإمام الحسين عليه السَّلام وعلى رأسها أُخته الحوراء زينب عليها السَّلام مجموعة عادية، بل كنَّ من فضليات نساء أهل البيت (عليهم السَّلام)، وفوق كلِّ هذا كنَّ المؤمنات بثورته، وهنَّ أيضاً مبلغات يمتلكن أدوات التبليغ السليم ليُعَرّفْنَ الناس بالقضيَّة والثورة وأهدافها وأسبابها، ويكشفن النقاب عن الوجه الأُموي الأسود، وليكنَّ سبباً لهزِّ الوضع العام وتحريكه وضخِّ القيم الجديدة وتخليد النهضة الحسينيَّة في الوجدان الشعبي كلَّ هذه القرون.

كما أنَّهنَّ لم يعبأن بمعارضة المعترضين على خروج الإمام عليه السَّلام ونهيهم له عليه السَّلام أنْ يصطحبهن معه.

فلقد قام عبد الله بن عباس للإمام الحسين عليه السَّلام وقال له: فإنْ عصيتني وأبيت إلَّا الخروج إلى الكوفة فلا تخرجن نساءك وولدك معك[2].

فسمع الردَّ السريع من عقيلة الطالبيين عليها السَّلام: يا بن عباس تشير على شيخنا وسيدنا أنْ يخلفنا ها هنا ويمضي وحده؟ لا والله، بل نحيا معه ونموت معه، وهل أبقى

---

(١) الملحمة الحسينية: ص٢٠٩.

(٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر: ج٣، ص٦٥.

الزمان لنا غيره؟[١].

٣- إنَّ معركة كربلاء كانت بحاجة ماسَّة إلى حضور نسائيٍّ مكثف، كي يسهم في إنجاح الثورة، وقد تكون مهمَّة هذا الكادر لا يسدُّ مسدّها الرجال، فمن المعلوم أنْ حضور المرأة في مناطق الحروب والصراعات يكون من العوامل التي تؤدِّي إلى تحريك الرأي العام، فعندما يريد طرف معين إظهار مظلوميته فإنَّه يقوم بنشر صور لنساء معذبات أو مقتولات أو أطفال يبكون ويصرخون، فهذه الصور يمكنها أنْ تقوم بهزِّ الضمير الإنساني وتُحدث فيه بركاناً من الغليان، فتكون عاملاً لكشف وحشية العدو ومجازره وبشاعته، ولنا أن نستعرض في ذاكرتنا ما كان يبث من صور عن المعارك التي شهدها القرن المنصرم وبداياته، والتي يستخدم فيها مونتاجاً خاصاً لعرض بكاء الأُمهات وذهول الزوجات وأَنين البنات.

يقول الأستاذ السيّد أحمد فهمي:

وقد أدرك الحسين (عليه السَّلام) أنّه مقتول، إذ هو يعلم علم اليقين قبح طويَّة يزيد، وإسفاف نحيزته، وسوء سريرته، فيزيد بعد قتل الحسين ستمتد يده إلى أن يؤذي النبيَّ (صلّى الله عليه وآله) في سلالته، من قتل الأطفال الأبرياء، وانتهاك حرمة النساء، وحملهنَّ ومَنْ بقي من الأطفال من قفرة إلى قفرة، ومن بلد إلى بلد، فيثير مرأى أولئك حفيظة المسلمين، فليس ثمَّة أشنع ولا أفظع من التشفِّي والانتقام من النساء والأطفال بعد قتل الشباب والرجال، فهو بخروجه بتلك الحالة أراد أنْ يثأر من يزيد في خلافته، ويقتله في كرامته، وحقّاً لقد وقع ما توقّعه، فكان لما فعله يزيد وعصبته من فظيع الأثر في نفوس المسلمين، وزاد في أضغانهم ما عرّضوا به سلالة النبوّة من هتك خدر النساء،

(١) زينب الكبرى، النقدي: ص٩٤.

وهنَّ اللاتي ما عرفنَ إلَّا بالصيانة والطهر، والعزِّ والمنعة، ممَّا أطلق ألسنة الشعراء بالهجاء والذمِّ، ونفّر أكثر المسلمين من خلافة الأُمويّين، وأسخط عليهم قلوب المؤمنين، فقد قتله الحسين (عليه السَّلام) أشدَّ من قتله إيّاه[1].

ولهذا اهتزت الكوفة لمَّا جاء ركب الحسين عليه السَّلام وارتجت لمرأى الأطفال الذين ترتعد فرائصهم واصفرت وجوههم، وماجت للحرائر المخدرات اللواتي ارتسم الحزن على وجوههن، وبان ثقل الدموع في مآقيهن، وازداد الألم حينما جادت عليهن الكوفيات بالأزر والمقانع وضجَّ الناس بالبكاء والعويل حينما أُزيح الستار عن القناع الأُموي، فهؤلاء لسنَ سبايا الخوارج والديلم كما قال ابن زياد، إنَّما هنَّ سبايا آل البيت عليهم السَّلام!

فعلى هذا يمكننا القول إنَّ الإمام عليه السَّلام إنَّما اصطحب النساء في قافلة الشهادة لغرض تأدية دور مهمٍّ في نصر الثورة، وهو توجيه الأُمَّة إلى قيم جديدة وتربويات مطلوبة، ولم يكن لهذه المهمَّة الصعبة من يؤدّيها سوى هؤلاء النساء وعلى رأسهن السَّيدة زينب عليها السَّلام.

فمن الخطأ بمكان تصور أن تلك الانطلاقة المباركة ستتوقف عند عدم مبايعة يزيد، وهذا ما دعا الإمام إلى ترك بيان هذه الحقيقة إلى قادم الأيام تقوم بترجمتها، ولم يفصح عنها لأيٍّ أحد حتى أقرب المقربين إليه ومن ضمنهم أخوه السيد محمَّد ابن الحنفية (رضوان الله عليه).

يقول السيد ابن طاووس: (لمَّا كان في السحر ارتحل الحسين عليه السَّلام فبلغ ذلك ابن الحنفية، فأتاه فأخذ زمام ناقته التي ركبها فقال له: يا أخي، ألم تعدني

(١) ريحانة الرسول: ص١٦٧.

النظر فيما سألتك؟ قال: «بلى»، قال: فما حداك على الخروج عاجلاً؟ فقال: «**أتاني رسول الله صلَّى الله عليه وآله بعد ما فارقتك، فقال: يا حسين، اخرج فإنَّ الله قد شاء أنْ يراك قتيلاً**»، فقال له ابن الحنفية: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك، وأنت تخرج على مثل هذه الحال؟ قال: فقال له: «**قد قال لي إنَّ الله قد شاء أنْ يراهن سبايا**»، وسلَّم عليه ومضى)[١].

وعن أهمية هذا الأمر يذكر المرحوم الشيخ كاشف الغطاء في كتابه السياسة الحسينية: (وهل تشكّ وترتاب في أنَّ الحسين عليه السَّلام لو قُتل هو وولده، ولم يتعقّبه قيام تلك الحرائر في تلك المقامات بتلك التحدّيات لذهب قتله جباراً، ولم يطلب به أحد ثاراً، ولضاع دمه هدراً، فكان الحسين يعلم أنَّ هذا علم لا بُدَّ منه، وأنَّه لا يقوم به إلَّا تلك العقائل، فوجب عليه حتماً أنْ يحملهنَّ معه؛ لا لأجل المظلوميَّة بسببهن فقط، بل لنظر سياسيٍّ وفكر عميق، وهو تكميل الغرض، وبلوغ الغاية من قلب الدولة على يزيد، والمبادرة إلى القضاء عليها قبل أنْ تقضي على الإسلام وتعود الناس إلى جاهليتها الأولى)[٢].

### المطلب الثاني: مشيئة الله تعالى

ولَّما كان الكلام حول أسباب جلب الإمام الحسين عليه السَّلام النساء والأطفال معه في مسيرة الثورة، فلا بُدَّ أنْ نتطرق إلى قوله عليه السَّلام الذي بيَّن فيه السبب الذي دعاه إلى الخروج، حيث قال عليه السَّلام عندما اعترضه أخوه ابن الحنفية واستفهمه حول السبب الذي دعاه إلى حمل تلك النساء معه.

---

(١) اللهوف: ص٦٤.

(٢) السياسة الحسينية، الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء: ص٢٣١.

فقال عليه السَّلام: «**شاء الله أنْ يراهنَّ سبايا**»، فلا بُدَّ من بيان هذه العبارة الشريفة التي صدرت من المعصوم عليه السَّلام، وقبل بيانها لا بُدَّ من المرور على بعض التوضيحات المهمة منها:

**ما المراد من المشيئة الإلهيَّة؟**

لا بُدَّ أنْ يفهم القارئ الكريم ما هو المراد من المشيئة الإلهيَّة كي يتضح لديه المعنى الذي قصده الإمام الحسين عليه السَّلام بقوله لأخيه: «**شاء الله أنْ يراهن سبايا**».

المشيئة ابتداء العزم على الفعل، وأمَّا الإرادة فهي العزم على الفعل أو الترك بعد تصور الغاية المترتبة عليه من خير، أو نفع أو لذَّة ونحو ذلك، وهي أخصُّ من المشيئة، لأنَّ المشيئة ابتداء العزم على الفعل، فنسبتها إلى الإرادة نسبة الضعف إلى القوة، والظن إلى الجزم، فإنَّك ربما شئت شيئاً ولا تريده لمانع عقلِّي أو شرعيٍّ، وأمَّا الإرادة فمتى حصلت صدر الفعل لا محالة[١].

**المطلب الثالث: المشيئة التشريعيَّة والمشيئة التكوينيَّة**

تنقسم المشيئة على قسمين هما المشيئة التشريعيَّة والمشيئة التكوينيَّة، وسيتضح من خلال بيانهما معنى قول الإمام الحسين عليه السَّلام: «**قد شاء الله أنْ يراني قتيلاً، وقد شاء الله أنْ يراهن سبايا**».

فمن المعلوم أنَّ المولى عزَّ اسمه شاء أنْ يخلق الدنيا ويجعلها دار اختبار للإنسان من خلال ابتلائه وامتحانه، وكذلك شاء تعالى أنْ يجعل في هذه الدنيا الأنبياء والرسل والأئمَّة، وشاءت قدرته أنْ يجعل هذا الإنسان مركباً من العقل والغريزة وهذه الأُمور

(١) الفروق اللغوية أبو هلال العسكري: ص٣٥.

كلُّها هي من المشيئة التكوينيَّة.

وأمَّا المشيئة التشريعيَّة: فهي كون الله تبارك وتعالى شاء أنْ لا يُعبد معه أحد، بل تكون العبادة خالصة له وحده لا شريك له، وأوجب الإيمان برسله وأنبيائه كافة، واقتضت مشيئته تعالى أنَّ عباده يطيعون هؤلاء الأنبياء والرسل، وشاء أنْ فرض عليهم العبادات والمعاملات، وشاء أنْ لا يظلم الإنسان أخاه الإنسان وغير هذه الأُمور المذكورة من التشريعات الإلهيَّة وكلُّها ضمن مشيئته سبحانه.

إلَّا أنَّنا نجد أنَّ الخلط قد يحصل بين هذين القسمين، ولعلَّ السبب في هذا الخلط راجع إلى إيجاد المبرر والعذر لتبرير ما يقترفه الإنسان من ذنوب ومعاصٍ وتعدٍّ لحدود الله تعالى، فعلى سبيل المثال؛ قد يقتل شخص شخصاً آخر وغرضه من هذا الفعل هو السرقة ثمَّ يعتذر عن هذا الفعل بقوله: لو لم يشأ الله لم تزهق نفسه على يديَّ ولم أكن قاتلاً، في حين أنَّ الإنسان القاتل هو الذي شاء قتل أخيه بعد أنْ أطاع شهواته الشيطانيَّة؛ فالموت هنا: مشيئة تكوينيَّة، لكنَّ طريقة الموت وهو القتل مشيئة تشريعيَّة بمعنى: أنَّ الله تعالى شاء حرمة القتل ونهى عنه وحذَّر منه وعاقب عليه لكنَّ القاتل بيده شاء ذلك.

ومن هذا المنطلق نلاحظ أنَّ القرآن الكريم لم يغفل عن هذا التقسيم، بل تعرَّض له في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[1].

وفي بيان هذه المسألة يقول العلامة الطباطبائي رحمه الله، وقوله تعالى: ﴿... قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ...﴾ جوابهم للدعوة إلى الإنفاق، وإنَّما أظهر القائل - الذين كفروا - ومقتضى المقام الإضمار للإشارة إلى أنَّ

(١) سورة يس، الآية: ٤٧.



كفرهم بالحقِّ وإعراضهم عنه باتباع الشهوات، هو الذي دعاهم إلى الاعتذار بمثل هذا العذر المبني على الإعراض عمَّا تدعو إليه الفطرة من الشفقة على خلق الله وإصلاح ما فسد في المجتمع كما أنَّ الإظهار في قوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ للإشارة إلى أنَّ قائل ﴿أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ﴾ هم الذين آمنوا.

وفي قولهم: ﴿أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللهُ أَطْعَمَهُ﴾ إشعار بأنَّ المؤمنين إنَّما قالوا لهم: ﴿أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ﴾ بعنوان أنَّه ممَّا يشاؤه الله ويريده حكماً دينياً فردُّوه بأنَّ إرادة الله لا تتخلف عن مراده، فلو شاء أنْ يطعمهم أطعمهم أي وسع في رزقهم وجعلهم أغنياء.

وهذه مغالطة منهم فقد خلطوا فيه بين الإرادة التشريعيَّة المبنيَّة على الابتلاء والامتحان وهداية العباد إلى ما فيه صلاح حالهم في دنياهم وآخرتهم، ومن الجائز أنْ تتخلف عن المراد بالعصيان، وبين الإرادة التكوينيَّة التي لا تتخلف عن المراد، ومن المعلوم أنَّ مشيئة الله وإرادته المتعلقة بإطعام الفقراء والإنفاق عليهم من المشيئة التشريعيَّة دون التكوينيَّة فتخلفها في مورد الفقراء إنَّما يدلُّ على عصيان الذين كفروا وتمرّدهم عمَّا أُمروا به، لا على عدم تعلق الإرادة به وكذب مدعيه.

وهذه مغالطة بنوا عليها جلَّ ما افتعلوه من سنن الوثنيَّة، وقد حكى الله سبحانه ذلك عنهم في قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا

(١) سورة النحل، الآية: ٣٥.

مِنْ شَيْءٍ... ﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ... ﴾[٢].

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ ... إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾، من تمام قول الذين كفروا يخاطبون به المؤمنين، أي أنَّكم في ضلال مبين في دعواكم أنَّ الله أمرنا بالإنفاق وشاء منا ذلك[٣].

فمن خلال هذا البيان يتضح أنَّ الله عزَّ وجلَّ حينما شاء أنْ يرى مخدرات بيت الوحي سبايا فهذه المشيئة تكوينيَّة، كي يرى صبرهنَّ وتجلدهنَّ في ذاته تعالى - أي ضمن إطار المشيئة التشريعيَّة - ومن ناحية أُخرى فالله تعالى وضمن المشيئة التشريعيَّة ابتلى هذه الأُمَّة بولاية أهل البيت (عليهم السَّلام)، فكان ما أقدم عليه الجيش السفياني هو انتهاك للمشيئة التشريعيَّة باعتبار أنَّ الله تعالى لم يرتضِ الظلم وقتل النفس المحرَّمة، فيكون ما قاسوه من سبي وتشريد وقتل هو من أعظم الانتهاكات التشريعيَّة، لما يترتب على ذلك من تعدٍّ على الله ورسوله صلَّى الله عليه وآله وجميع الرسالات والتشريعات الإلهيَّة.

## المبحث الثاني: مواقف عبد الله بن جعفر الطيار عليهما السَّلام

### المطلب الأَوَّل: عدم خروج عبد الله بن جعفر الطيار عليهما السَّلام مع الركب الحسيني

لا يختلف اثنان على جلالة وعلو شأن عبد الله بن جعفر وهو أمر متفق عليه بين المسلمين جميعاً، فأهل السُّنَّة يعتقدون أنَّه ممَّن صحب النبيَّ الأعظم صلَّى الله عليه وآله،

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٤٨.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٢٠.

(٣) الميزان في تفسير القرآن: ج١٧، ص٤٧.

حيث قال الذهبي في ترجمته:

عبد الله بن جعفر بن أبي طالب أَوَّل من ولد من المهاجرين بالحبشة، له صحبة وكان كأبيه في الكرم والسخاء[١].

وقال الطبري في المنتخب: (قُبض النبيُّ صلَّى الله عليه – وآله – وسلم وهو ابن اثنتي عشرة سنة)[٢].

ويقول الذهبي: (عبد الله بن جعفر، السيّد العالم، كان كبير الشأن، كريماً جواداً، يصلح للإمامة...)[٣].

وأمَّا عند الشيعة فيقول العلاّمة الحلّي (رضوان الله عليه): (والسيّد محمّد ابن الحنفية وعبد الله بن جعفر وأمثالهم أجلُّ قدراً وأعظم شأناً من اعتقادهم خلاف الحقِّ وخروجهم عن الإيمان...)[٤].

وقال السيّد الخوئي (قدس الله نفسه) في المعجم: (جلالة عبد الله بن جعفر الطيّار بن أبي طالب بمرتبة لا حاجة معها إلى الإطراء)[٥].

والمتفحص المدقق لسيرة عبد الله بن جعفر يرى أنَّ مواقفه كانت من الجرأة والشجاعة بمكان، فقد كان منقطعاً إلى عمِّه أمير المؤمنين عليه السَّلام وابنيه الإمامين الحسن والحسين (صلوات الله عليهما) بعد أبيهم، وكانت علاقته مع الإمام الحسين عليه السَّلام

---

(١) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة: ج١، ص٥٤٢.

(٢) المنتخب من ذيل المذيل: ص٣٠.

(٣) سير أعلام النبلاء: ج٣، ص٤٥٦.

(٤) المسائل المهنائية: ص٣٨، المسألة ٣٣.

(٥) معجم رجال الحديث: ج١٠، ص١٣٨.

علاقة ودِّيَّة حميمة، بسبب انقطاعه إليه، فإذا كانت حاله هذه كان من المجزوم به أنَّ عبد الله بن جعفر كان مقراً بإمامته وولايته، وعلى هذه الحال لا بُدَّ من وجود عذرٍ دعاه إلى عدم الالتحاق بقافلة الهاشميين المتجهة صوب كربلاء، فالسؤال هنا كيف يتخلّف من دون عذر وقد خرجت زوجته السيدة زينب العقيلة عليها السَّلام، وبرفقة ولديهما مع الإمام عليه السَّلام في رحلة الفتح بالشهادة!؟

فمن المحال أنَّ من يجود بفلذة كبده ثمَّ يشحّ عن بذل نفسه، فيكون تأخره عن كره لا عن سبب مقبول، يقول الشيخ المامقاني: (وقد واساه بولده عون ومحمّد وعبد الله، قُتلوا معه بالطفّ لَمَّا كان هو معذوراً في الخروج معه)[١].

وقد صرَّح بعض المحققين أنَّ السبب الذي دعاه إلى عدم الخروج إلى كربلاء هو وضعه الصحي الذي كان عليه في تلك الفترة، فلقد كان فاقداً لبصره.

يقول المحقّق الشيخ جعفر النقدي: (أمَّا عدم خروجه مع الحسين عليه السَّلام إلى كربلاء فقد قيل إنَّه مكفوف البصر)[٢].

### المطلب الثاني: عزمه على ثني الإمام الحسين عليه السَّلام عن الخروج إلى العراق

عمل عبد الله بن جعفر جاهداً أنْ يثني الإمام الحسين عليه السَّلام من التوجه إلى العراق بسبب خشيته عليه من أنْ يُسفك دمه لأنَّه خبر أهل العراق وما فعلوه مع عمِّه أمير المؤمنين ومع ابن عمِّه الإمام الحسن المجتبى (صلوات الله عليهما)؛ لذلك حاول أنْ يعمل على الخط الدبلوماسي ويجر الأمر إلى التريث والمفاوضة، فقد سعى حثيثاً للوساطة

---

(١) تنقيح المقال: ج٢، ص١٧٣.

(٢) زينب الكبرى: ص٨٧.

بين الإمام عليه السَّلام و عمرو الأشدق، ولم يكتفِ بمراسلة الإمام عليه السَّلام فقط، بل سارع للخروج من المدينة على جناح السرعة وتوجه إلى مكّة، وكان هدفه هو الحصول على الأمان الأُموي للإمام عليه السَّلام!

يقول الطبري: (وقام عبد الله بن جعفر إلى عمرو بن سعيد بن العاص فكلَّمه،وقال اكتب إلى الحسين كتاباً تجعل له فيه الأمان وتمنيه فيه البر والصلة وتوثق له في كتابك وتسأله الرجوع، لعلَّه يطمئن إلى ذلك فيرجع فقال عمرو بن سعيد اكتب ما شئت وائتني به حتى أختمه، فكتب عبد الله بن جعفر الكتاب ثمَّ أتى به عمرو بن سعيد، فقال له: اختمه وابعث به مع أخيك يحيى ين سعيد فإنَّه أحرى أنْ تطمئن نفسه إليه ويعلم أنَّه الجدُّ منك، ففعل وكان عمرو بن سعيد عامل يزيد بن معاوية على مكَّة، قال: فلحقه يحيى وعبد الله بن جعفر ثمَّ انصرفا بعد أنْ أقرأه يحيى الكتاب، فقالا: أقرأناه الكتاب وجهدنا به وكان ممَّا اعتذر به إلينا أنْ قال: «**إني رأيت رؤيا فيها رسول الله صلَّى الله عليه وآله، وأمرت فيها بأمر أنا ماضٍ له عليَّ كان أو لي**»، فقالا له: فما تلك الرؤيا؟ قال: «**ما حدثت أحداً بها، وما أنا محدِّث بها حتى ألقى ربي**».

قال: وكان كتاب عمرو بن سعيد إلى الحسين بن عليٍّ (بسم الله الرحمن الرحيم من عمرو بن سعيد إلى الحسين بن عليٍّ، أمَّا بعد، فإنِّي أسأل الله أن يصرفك عمَّا يوبقك، وأنْ يهديك لما يرشدك، بلغني أنَّك قد توجهت إلى العراق وإنِّي أُعيذك بالله من الشقاق، فإنِّي أخاف عليك فيه الهلاك، وقد بعثت إليك عبد الله بن جعفر ويحيى بن سعيد فأقبل إليَّ معهما فإنَّ لك عندي الأمان والصلة والبر وحسن الجوار لك الله عليَّ بذلك شهيد وكفيل ومراعٍ ووكيل، والسلام عليك).

قال وكتب إليه الحسين عليه السَّلام: «**أمَّا بعد، فإنَّه لم يشاقق الله ورسوله من دعا إلى**

**الله عزَّ وجلَّ وعمل صالحاً وقال إنَّني من المسلمين، وقد دعوت إلى الأمان والبرِّ والصلة، فخير الأمان أمان الله، ولن يؤمن الله يوم القيامة من لم يخفه في الدنيا، فنسأل الله مخافة في الدنيا توجب لنا أمانة يوم القيامة، فإنْ كنت نويت بالكتاب صلتي وبرِّي فجزيت خيراً في الدنيا والآخرة والسَّلام»**)[١].

وقبل هذا الكتاب - كما في رواية ابن أعثم - كان عبد الله قد أرسل كتاباً إلى الإمام الحسين عليه السَّلام جاء فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم، للحسين بن عليٍّ من عبد الله بن جعفر: أمّا بعدُ، فإنِّي أُنشدك الله أنْ تخرج عن مكَّة، فإنِّي خائف عليك من هذا الأمر الذي قد أزمعت عليه أنْ يكون فيه هلاكك وأهل بيتك، فإنَّك إنْ قُتلتَ أخاف أنْ يُطفأ نور الأرض وأنت روح الهدى، وأمير المؤمنين، فلا تعجل بالمسير إلى العراق، فإنِّي آخذٌ لك الأمان من يزيد وجميع بني أُميَّة، على نفسك ومالك وولدك وأهل بيتك، والسلام.

فكتب إليه الإمام الحسين عليه السَّلام: «**أمّا بعدُ، فإنَّ كتابك ورد عليَّ فقرأته وفهمت ما ذكرت، وأُعلمك أنّي قد رأيت جدّي رسول الله صلَّى الله عليه وآله في منامي، فخبّرني بأمر وأنا ماضٍ له، لي كان أو عليَّ، والله يا بن عمِّي، لو كنت في جحر هامّة من هوامّ الأرض لاستخرجوني وقتلوني! والله يا بن عمّي ليعدينّ عليَّ كما عدت اليهود على السبت، والسَّلام»**)[٢].

فيظهر من الكتابين أنَّ ابن جعفر (رضوان الله عليه) كان متفقاً في الرأي مع ابن عبّاس وابن الحنفيّة (رضوان الله عليهما) في نظرهم إلى قيام الإمام عليه السَّلام من زاوية النصر أو الانكسار العسكريين، وهذه الفكرة ولدت عند هذا الثلاثي محور مشوراتهم

(١) تاريخ الطبري: ج٣، ص٢٩٧.

(٢) الفتوح: ج٥، ص٧٤.

ونصائحهم، وحرصهم على أنْ لا يُقتل الإمام عليه السَّلام في الوجهة التي عزم عليها؛ ولذا فقد كان الإمام عليه السَّلام يجيبهم بأنَّ منطقه الذي يتحرّك على أساسه غير هذا من خلال الرؤيا التي رأى فيها جدَّه صلَّى الله عليه وآله، وأنَّه مأمور بهذا النوع من التحرك امتثالاً لأمر رسول الله صلَّى الله عليه وآله.

ويظهر من الرسالة الأُولى أنَّ عبد الله بن جعفر (رضوان الله عليه) كان يرجو أنْ تؤتي المفاوضات أُكلها فتتحقق على الأقل هدنة بين الإمام الحسين عليه السَّلام وبين السلطات الأُمويَّة اذا ما أَرجأ فكرة الخروج؛ ولذا فقد رفع الإمام الحسين عليه السَّلام هذا التوهم عن صهره وابن عمِّه بأنَّ القوم أبناء القوم وهم ليسوا بالأسخياء كي يتركوه وشأنه ودون التعرض له بمكروه، فقد قال عليه السَّلام: «**لو كنت في جحر هامّة من هوامّ الأرض لاستخرجوني حتى يقتلوني**»، هذا بناءً على مقدرة عبد الله على أخذ الأمان لابن عمِّه الإمام الحسين عليه السَّلام، ولكن من المعلوم أنَّ الإمام كان يعتقد أنَّ هذا الأمر تكليف أُنيط به ولا بُدَّ من إتمامه، فيقول عليه السَّلام: «**أريد أنْ آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأَسير بسيرة جدّي**».

ويقول في خطبة أُخرى في طريقه إلى العراق: «**أيُّها الناس إنَّ رسول اللهَّ قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم اللهَّ ناكثاً بعهد الله... فلم يغير عليه بقول ولا فعل كان حقاً على اللهَّ أنْ يدخله مدخله**»[١].

(١) تاريخ الطبري: ج٣، ص٣٠٧.

# الفصل الخامس

## قبر السَّيدة زينب عليها السَّلام



من إشراقات عظمة السَّيدة زينب عليها السَّلام أنْ تتنافس البقاع والبلدان على ادّعاء شرف احتضان مرقدها ومثواها، ففي أكثر من بلد تقام الأضرحة وتشمخ القباب والمنائر باسم السَّيدة زينب عليها السَّلام.

لقد اختلف المؤرخون في مكان وفاة السيدة زينب عليها السَّلام ومحلِّ قبرها، وشاء الله (تعالى) أنْ يكون ذلك سبباً لإظهار عظمتها وإبراز شأنها ومجدها.

وقد بذل العديد من العلماء والباحثين جهودهم، وخاضوا غمار البحث والتحقيق، لمحاكمة الروايات والنقول التاريخيَّة حول قبر السيدة زينب الكبرى عليها السَّلام، والآراء التي ناقشها العلماء والباحثون تنحصر في ثلاثة احتمالات:

أوّلاً: المدينة المنورة.

ثانياً: مصر.

ثالثاً: دمشق.

## المبحث الأول: المدينة المنورة

دافع العلامة السَّيد محسن الأمين العاملي عن هذا الرأي باعتبار أنَّ المدينة هي موطن السَّيدة زينب عليه السَّلام، وأنَّ من الثابت عودتها إلى المدينة بعد واقعة كربلاء، فاستصحاباً نحكم بأنَّ وفاتها وقبرها في المدينة المنورة ما لم يثبت العكس، وقال ما نصه:

يجب أنْ يكون قبرها في المدينة المنورة، فإنَّه لم يثبت أنَّها بعد رجوعها للمدينة خرجت منها، وإنْ كان تاريخ وفاتها ومحلُّ قبرها بالمدينة مجهولين، ويجب أنْ يكون قبرها بالبقيع،

وكم من أهل البيت أمثالها من جُهل محلُّ قبره وتاريخ وفاته خصوصاً النساء[١].

لكن لنا أنْ نناقش السَّيد الأمين (قدس سره) بأنّه لا يوجد في المدينة المنوّرة – وفي مقبرة البقيع بصورة خاصّة – قبرٌ للسيدة زينب عليها السَّلام.

فكيف يُمكن أنْ يكون قبرها هناك، ولم يعلم بذلك أحد؟!

مع الانتباه إلى الشخصيَّة المرموقة التي كانت للسَّيدة زينب عليها السَّلام في أُسرتها، وعند الناس جميعاً؟!

فهل ماتت في المدينة ولم يحضر تشييع جنازتها أحد؟!

ولم يشهد دفنها أحد؟!

ولم يعلم بموضع قبرها أحد؟

ولم يتحدّث أحد من أئمة أهل البيت (عليهم السَّلام) عن هذا الموضوع المهم؟! وخاصّة الإمام السجاد والإمام الباقر والإمام الصادق (عليهم السَّلام).

ثمَّ كيف ولماذا لم يُشاهد أحد من الأئمّة الطاهرين أو من شخصيّات بني هاشم عند قبرها؟!

وكيف لم يتحدّث واحد منهم عن زيارة قبرها، أو عن تعيين موضعه في المدينة؟! مع ما ورد عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله.

وما هي الدواعي لهذا الغموض والتعتيم على سبب وتاريخ وفاتها ومكان دفنها، حتى من رجالات أهل البيت عليهم السَّلام؟!

---

(١) موسوعة أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، طبع (١٤٠٣هـ): ج٧، ص١٤٠.

فهل كانت هناك أسباب وحِكَم تَفرض إخفاء قبرها، كما كان ذلك بالنسبة إلى قبر والدتها السَّيدة فاطمة الزهراء عليها السَّلام؟

أَم أنَّ هناك حقائق وأخباراً خَفيَت عنّا؟!

هذه أسئلة حائرة تجعلنا لا نوافق على القول الأوَّل.

وناقش هذا القول البحاثة الشيخ محمَّد حسنين السابقي بما يلي: نحن لا ننكر أنْ يكون مدفنها الطاهر في البقيع في المدينة المنورة، إذ هي وطنها الكريم وبها قبور إخوتها وشيوخ قومها وجدها وأُمِّها، ولكنْ بشرط أنْ يقوم عليه دليل قاطع أو نصٌّ تاريخيٌّ.

لأنَّ قبور البقيع ذكرها المؤرخون قديماً وحديثاً، يذكرها ابن النجار في (تاريخه)، والسمهودي في تاريخه الحافل (وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى) في باب مخصوص لذكر مزارات أهل البيت والصحابة، ولا نجد فيها قبر العقيلة زينب لا في القبور المعمورة ولا المطموسة.

ولكان لمرقدها ذكر ولو في القرون الأُولى كما بقي لمن دونها في الرتبة من بني هاشم، بل ولمن يمت إليهم بالولاء أيضاً.

على أنَّ الذين ذهبوا إلى هذا القول إنَّما مستندهم الاستصحاب الأُصولي وهو أنَّه ثبت أنَّ العقيلة زينب عليها السَّلام دخلت المدينة بعد محنة أَخيها ورجوعها من الشام وكانت بالمدينة على قيد الحياة، ثمَّ شككنا هل ماتت في الشام أم لا؟ فالاستصحاب يقول: الأصل عدم موتها بالشام، بل بالمدينة حتى يحصل لنا شيء يزيل هذا الشك ويثبت لنا باليقين أنَّها ماتت بالشام.

وهذا الدليل لا غبار عليه في نفسه ولكنْ لا يستدل بمثله في القضايا التاريخية، ولو

قلنا به فثبت ما أزال هذا الشك وهو ما رواه ابن طولون الدمشقي من ذهابها إلى الشام وموتها بها، وعليه أكثر الفقهاء المجتهدين الأُصوليين.

## المبحث الثاني: بين القاهرة ودمشق

وإذا لم يكن هناك أثر نقليٌّ يتحدّث عن قبر للسَّيدة زينب الكبرى عليها السَّلام في المدينة المنورة ولا يوجد مقام ظاهر ينسب لها هناك، فإنَّ الأمر ليس كذلك فيما يرتبط بمصر والشام، حيث توجد روايات ونصوص تاريخيَّة يستدلُّ بها أنصار كلٍّ من الرأيين، كما يتعالى في سماء القاهرة ودمشق مقامان شامخان ينسبان للسيدة زينب عليها السَّلام، وتؤمّهما جماهير المؤمنين ويقصدهما الزائرون.

فقد أشارت بعض الروايات إلى أنَّ عبد الله بن جعفر رحل عن المدينة وانتقل مع السَّيدة زينب زوجته إلى ضيعة كان يمتلكها قرب دمشق في قرية يقال لها (راوية)، وقد توفيت السَّيدة زينب عليها السَّلام في هذه القرية ودفنت في المرقد المعروف باسمها.

وتختلف الروايات في سبب هجرة عبد الله بن جعفر إلى هذه القرية وفي تاريخ تلك الهجرة ووفاة السَّيدة زينب عليها السَّلام، لكنَّ العديد من المؤلفين ذكروا أنَّ ذلك بسبب مجاعة حصلت في المدينة وأنَّ ذلك كان في سنة (٦٥هـ) وبعضهم قال إنَّ ذلك في سنة (٦٢هـ).

يقول العلامة الشيخ فرج العمران - خلال بحث له عن الموضوع: فالأرجح عندي أنَّها عليها السَّلام توفيت في الشام في النصف من شهر رجب من العام الخامس والستين من الهجرة وهو عام المجاعة، وذلك بمحضر زوجها الجواد عبد الله بن جعفر، ودفنت

في إحدى قراه المعروفة براوية من غوطة دمشق المشتهرة الآن بقرية الست[1].

والمطالعة الدقيقة والبحث الموضوعي في أدلّة الطرفين يرجّح كفّة الاطمئنان إلى أنَّ مشهد الراوية في دمشق هو الأقرب إلى الصحّة والواقع؛ وذلك لتظافر الأدّلة في كتب المؤرخين والرحّالة والسّائحين منذ القرون السابقة وإلى الآن.

ولضعف مستند القائلين بسفر السَّيدة زينب الكبرى إلى مصر وموتها فيها، وللاحتمال الكبير في أنْ يكون المقام في مصر لزينب أُخرى من أهل البيت عليهم السَّلام.

وقد أفرد بعض العلماء كتباً ورسائل لتحقيق هذا الموضوع، ومن أبرزهم العلامة المرحوم الشيخ فرج العمران القطيفي (١٣٢١هـ)، والذي ألّف رسالة تحت عنوان (المرقد الزينبي) سنة (١٣٧٧هـ) وطبعها في النجف الأشرف – العراق)، وكانت نتيجة البحث التي انتهى إليها في رسالته هو ترجيح المقام الزينبي في دمشق، وأنّه للسيدة زينب الكبرى عليها السَّلام.

والبحث الآخر والأعمق هو للبحّاثة الباكستاني الشيخ محمد حسنين السّابقي، ويقع في أكثر من (٢٤٠صفحة) وقد طبع في بيروت سنة (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

ونقتبس منه الفقرات التالية بشيء من التصرّف والاختصار: إنَّ رحلة السَّيدة العقلية إلى مصر وإقامتها هناك وتلبيتها لداعي حمامها وحديث مدفنها بها قضيَّة من أهمِّ القضايا التي لا يفوت ذكرها كلّ مؤرخ يقظان.

ولا أقلّ من أنْ يذكره المؤرّخون الذين نشأوا في مصر، ولكنَّهم بأجمعهم لم يشيروا إليه أدنى إشارة.

---

(١) كتاب (وفاة زينب الكبرى)، الشيخ فرج العمران: ص٦٥.

وتتجلى هذه الحقيقة بعدما نرى اهتمام المصريين وإحاطتهم بالأخبار والحوادث المتعلقة ببلادهم وضبطها.

فأَوَّل مدوِّن لتاريخ مصر في الإسلام هو عبد الرحمن بن عبد الحكم المصري المتوفى (٢٥٧هـ) له في تاريخ مصر كتاب حافل سماه (منهج السالك في أخبار مصر والقرى والممالك)، ذكر فيه تراجم كثير من الصحابة ممَّن دخل مصر.

وتبعه أبو عمرو محمَّد بن يوسف الكندي المتوفى (٣٥٤هـ) وله عدَّة تأليفات في تاريخ مصر.

ثمَّ برع في تدوين أخبار مصر والإحاطة بحوادثها أبو محمَّد حسن بن إبراهيم بن ذولاق الليثي المصري المتوفى (٣٨٧ هـ).

ثمَّ تلاه في هذا الموضوع عزّ الملك محمَّد بن عبد الله بن أحمد الحراني المسبحي المتوفى سنة (٤٢٠هـ).

ثمَّ المؤرخ المتتبع القاضي أبو عبد الله محمَّد بن سلامة القضاعي الشافعي المتوفى (٤٥٣ هـ)، ولم يقصر همّه على ضبط الحوادث التاريخيَّة فقط، بل ألَّف في المزارات المقصودة للزيارة والتبرك التي تشدُّ إليها الرحال، وله في هذا الموضوع كتاب (أُنس الزائرين) ترجم فيه للسَّيدة نفيسة وعيَّن مدفنها وليس فيه لقبر زينب الكبرى عين ولا أثر.

ثمَّ أعطف إلى المقريزي والسيوطي والقلقشندي وغيرهم لا تجد أحداً من هؤلاء أنَّه ذكر دخول السَّيدة زينب الكبرى مصر ومدفنها بها.

على أنَّ هناك جماعة من مؤرخي مصر ممَّن أفرد تأليفه في تحقيق المزارات والقبور والمساجد كابن يونس والهتناني والقرشي صاحب (المزارات المصريَّة)، وابن سعد النسابة

صاحب (مزارات الأشراف)، وابن عطايا والحموي الذي ذكر جملة من مزارات مصر، وموفق الدين صاحب (مرشد الزوّار)، ترى هؤلاء الأعلام يترجمون أصحاب القبور ويميزون بين المزارات الصحيحة والمزورة من العلويين وغيرهم في مصر.

ولم يذكر أحد من هؤلاء أنَّ العقيلة زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين عليهما السَّلام مدفونة في مصر.

إنَّ كبار المؤرخين المطّلعين على تاريخ مصر بدقّة وتحقيق لم يصح لديهم دخول أيِّ ولد لأمير المؤمنين عليه السَّلام لصلبه في مصر.

قال الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمَّد السلفي المتوفى (٥٧٦هـ): - لم يمت له - أي لعليٍّ عليه السَّلام - ولد لصلبه في مصر.

قال الحافظ المؤرخ أبو محمَّد حسن بن إبراهيم بن زولاق الليثي المصري المتوفى (٣٨٧هـ): أَوَّل من دخل مصر من ولد عليٍّ سكينة بنت عليِّ بن الحسين، وبه قال السخاوي، وفي لفظ آخر للسخاوي: إنَّ المنقول عن السلف أنَّه لم يمت أحد من أولاد عليٍّ لصلبه في مصر.

فكيف يُعقول أنْ تدخل العقيلة زينب عليها السَّلام مصر وتقيم هناك زهاء السَّنة ثمَّ تُقبر على مرأى من المحاشد الجمَّة ومسمع، ولا يعرف أمرها أحد من المؤرخين الذين عهدهم قريب من تلك الحادثة المهمة.

والشافعي كان يتجاهر بالولاء لأهل البيت، وقد ورد في سيرته أنَّه كان يزور السَّيدة نفيسة، لكن لم يرد أنَّه زار السَّيدة زينب عليها السَّلام هناك.

كما دخل مصر جملة من الرحالين كابن جبير وابن بطوطة وابن شاهين وذكروا ما

شاهدوا من القبور المعروفة المقصودة للزيارة في عهدهم، ولكن لا تجد أحداً منهم يذكر قبر السَّيدة زينب الكبرى في مصر، اللهم إلَّا الرحالة الكوهيني الفاسي الأندلسي الذي دخل القاهرة في (١٤ - محرم ٣٦٩ هـ).

إنَّ الاشتباه بوجود قبر العقيلة زينب عليها السَّلام نشأ لتعدد المسميات بزينب من العلويات وغيرهنَّ المدفونات بمصر، والذهن أسرع تبادراً عند سماع الاسم إلى أشهر الأفراد وأكملها.

ومن المعلوم أنَّ عادة العامَّة والخاصَّة جرت أنَّهم ينسبون العلويين إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السَّلام بلا واسطة.

والظاهر أنَّ المشهد الزينبي المعروف في القاهرة هو للسَّيدة زينب بنت يحيى المتوج بن الحسن الأنور بن زيد بن الحسن بن عليٍّ بن أبي طالب (عليهم السَّلام).

والمصدر الأساس لدعوى هجرة السَّيدة زينب الكبرى عليها السَّلام إلى مصر وموتها ودفنها فيها رسالة (أخبار الزينبيات) للنسابة العبيدلي، وحول هذه الرسالة ومؤلفها ورواتها وبالخصوص الرواية المتعلقة بهذا الموضوع كلام عند أهل التحقيق سنداً ومتناً[١].

---

(١) المرأة العظيمة، الشيخ محمد حسنين السابقي: ص٢٩٣-٢٩٨.



# الخاتمة

وبحمد البارئ ونعمة منه وفضل ورحمة نضع قطراتنا الأخيرة في وعاء ذكراها بعد رحلة عبر موانئ حياة سيدة قلَّ نظيرها، بحيث غدت أُسوة لكلِّ إنسان رجلاً كان أو امرأة بين تفكر وتعقل في محاولة لمعرفة البيئة التي عاشت فيها هذه المرأة العظيمة، وواجهت أقسى أنواع المصاعب والمحن التي يمكن أنْ ترد على إنسان ونجحت في كلِّ الابتلاءات لتسمو في درجات القرب الإلهي وتكون بمنزلة الصديقة الصغرى، تلي أُمِّها الزهراء سلام الله عليها.

وقد كانت رحلة جاهدة للارتقاء بدرجات العقل ومعراج الفكر مجيبين عن عدَّة أسئلة ما فتئ الإنسان المحبّ يبحث عن إجابتها والمبغض عن إثارتها.

فما هذا إلَّا جهد مقلّ ولا ندَّعي فيه الكمال ولكنَّ عذرنا أنَّا بذلنا فيه قصارى جهدنا، فإنْ أصبنا فذاك مرادنا وإنْ أخطئنا فلنا شرف المحاولة والتعلم.

ولا نزيد على ما قال عماد الأصفهاني: رأيت أنَّه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلَّا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدّم هذا لكان أفضل ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر[1].

وأخيراً بعد أن تقدَّمنا باليسير في هذا المجال الواسع آملين أنْ ينال القبول ويلقى الاستحسان.

والحمد لله رب العالمين وصلّى الله وسلّم على سيدنا وحبيبنا محمَّد وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

---

(١) انظر: تصحيح اعتقادات الإمامية، الشيخ المفيد: ص١٥٥.

## المصادر والمراجع

١. إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام، الشيخ محمد بن طاهر السماوي، تحقيق الشيخ محمّد جعفر الطبسي، نشر مركز الدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، قم المقدسة.

٢. أجوبة المسائل المهنائية، جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي( ت ٧٢٦)، مطبعة الخيام، ١٤٠١هـ، قم المقدسة ايران.

٣. أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان، العباس بن بكار (أو ابن الوليد بن بكار) الضبي (ت٢٢٢هـ)، تحقيق سكينة الشهابي، نشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، بيروت، لبنان.

٤. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، الشيخ محمد بن محمد المفيد (ت٤١٣هـ)، تصحيح مؤسسة آل البيت عليهم السلام، نشر مؤتمر الشيخ المفيد، الطبعة الأولى، قم المقدسة، إيران

٥. أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين (١٣٧١)، تحقيق حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، ١٤٠٣هـ ، بيروت، لبنان.

٦. إلزام النواصب، مفلح بن راشد، تحقيق الشيخ عبدالرضا النجفي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٧. الأمالي، محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تصحيح مؤسسة البعثة، نشر دار الثقافة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، قم المقدسة، إيران.

٨. الإمامة والتبصرة من الحيرة، السيّد محمّد باقر الموحّد الأبطحي (الإصفهاني)، تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف)، إصفهان، إيران.

٩. الأيام المكية من عمر النهضة الحسينية، الشيخ نجم الدين الطبسي، نشر دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

١٠. الإيقاد في وفيات النبي والزهراء والأئمة أجمعين عليهم السلام وتفصيل وقعة الطف تماما، السيد محمد علي الشاه عبد العظيمي (ت١٣٣٤هـ)، تحقيق وتعليق السيد عبد الله مرتضى الشاه عبد العظيمي، الطبعة الأولى، ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢٠م.

١١. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ)، بيروت، لبنان.

١٢. البرهان في تفسير القرآن الكريم، العلامة المحدث المفسر السيد هاشم الحسيني البحراني (ت١١٠٧هـ)، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، نشر مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، قم المقدسة، إيران.

١٣. بلاغات النساء، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور (ت٢٨٠هـ)، تصحيح وشرح أحمد الالفي، نشر مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م القاهرة، مصر.

١٤. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين، نشر دار الهداية.

١٥. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد

الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، نشر دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، بيروت، لبنان.

١٦. تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ)، نشر دار التراث، الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ، بيروت، لبنان.

١٧. تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح الكاتب العباسي المعروف بالعقوبي، تحقيق عبد الأمير مهنا، نشر شركة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأُولى، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، بيروت، لبنان.

١٨. تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، نشر دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، بيروت، لبنان.

١٩. تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت٥٧١هـ)، تحقيق عمرو بن غرامة العمري، الناشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، بيروت، لبنان.

٢٠. تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت٥٧١هـ)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، بيروت، لبنان.

٢١. تذكرة الخواص من الأمة بذكر خصائص الأئمة، يوسف بن قزاوغلي ابن الجوزي (ت٦٥٤هـ)، تحقيق حسين تقي زاده، نشر المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، مركز الطباعة والنشر، ١٤٢٦هـ، قم المقدسة، إيران.

٢٢. تظلم الزهراء عليها السلام من اهراق دماء آل العباء، رضي بن نبي القزويني من أعلام القرن الثاني عشر، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م، طهران.

٢٣. تفسير القمي، أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي من أعلام القرن الثالث الهجري، تحقيق ونشر مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ، قم المقدسة، إيران.

٢٤. تنقيح المقال في علم الرجال، عبد الله المامقاني، محمد رضا المامقاني، محي الدين المامقاني، نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدسة.

٢٥. جامع الأخبار والآثار عن النبي والأئمة الاطهار عليهم السلام، العلامة المحقق السيد محمد باقر الموحد الابطحي، تحقيق مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، نشر قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ، كربلاء المقدسة، العراق.

٢٦. جمل من أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (ت٢٧٩هـ)، تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي، نشر دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، بيروت، لبنان.

٢٧. الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة، محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التِّلمساني المعروف بالبُرِّي (ت٦٤٥هـ)، نقحها وعلق عليها د. محمد التونجي، الأستاذ بجامعة حلب، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٢٨. حياة الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ باقر شريف القرشي، الطبعة الأولى، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، العراق.

٢٩. خلاصة عبقات الأنوار في إمامة الأئمة الأطهار عليهم السلام، السيد

حامد حسين الكهنوي، اعداد السيد علي الحسيني الميلاني، نشر مجمع البحوث الإسلامية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، بيروت، لبنان.

٣٠. الدرّ النظيم في مناقب الأئمّة اللهاميم، الشيخ جمال الدين يوسف بن حاتم الشامي، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي، نشر مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٣١. الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، السيد عليخان بن احمد المدني (ت١١٢٠هـ)، نشر مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م، بيروت، لبنان.

٣٢. الرد على المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي( ت ٥٩٧هـ)،تحقيق الدكتور هيثم عبد السلام محمد، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥م/ ١٤٢٦هـ، لبنان ، بيروت.

٣٣. الزام النواصب بإمامة علي بن أبي طالب عليه السلام، الشيخ مفلح بن الحسين (الحسن) بن راشد (رشيد) ابن صلاح البحراني، تحقيق الشيخ عبد الرضا النجفي.

٣٤. زينب الكبرى، الشيخ جعفر النقدي(ت١٩٥٠م)، تحقيق ونشر وتعليق علي الخاقاني، الطبعة الثانية، مطبعة الزهراء، ١٩٤٧،النجف الأشرف، العراق.

٣٥. زينب وليدة النبوة والإمامة، م. صادق، مؤسسة الوفاء، لندن، ١٩٨٧م.

٣٦. سنن الترمذي ، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ( ٢٧٩هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ ، الرياض السعودية.

٣٧. السيدة زينب عقيلة بني هاشم رضي الله عنها ، الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، نشر دار الكتاب العربي، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، بيروت، لبنان.

٣٨. سير أعلام النبلاء، تصنيف الإمام شمس الدين محمد بن احمد بن

عثمان الذهبي(ت ٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م)، تحقيق الدكتور بشار عوّاد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

٣٩. السيرة النبوية لابن هشام، أبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري البصري (ت٢١٣هـ/ ٨٢٨م)، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، ١٩٧٥م، لبنان.

٤٠. صحيح مسلم ،أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن وَرْدٍ بن كوشاذ القشيري النيسابوري(ت ٢٦١هـ)، الطبعة الأولى، دار الخلافة العلية، ١٣٣٠هـ

٤١. عقيلة الطهر والكرم السيدة زينب رضي الله عنها، موسى محمد علي، نشر عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م، بيروت، لبنان.

٤٢. عقيلة بني هاشم، علي بن الحسين الهاشمي الخطيب، مطبعة الادب ، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، النجف الأشرف، العراق.

٤٣. العين، أبو عبد الرحمن بن احمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت١٧٠هـ) تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، نشر دار ومكتبة الهلال.

٤٤. عيون أخبار الرضا عليه السلام، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي الصدوق(ت ٣٨١هـ)، تقديم السيد محمد مهدي السيد حسين الخرسان، منشورات المطبعة الحيدرية، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، النجف الأشرف، العراق.

٤٥. الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله بن سهيل بن سعيد (ت٣٩٥هـ)، تحقيق جمال عبد الغني مدغمش، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

٤٦. فهارس الكامل في التاريخ، أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بأبن الاثير الجزري الملقب بعز الدين(توفي ٦٣٠م)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٤٧. القاموس المحيط، العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) تحقيق مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة،٢٠٠٥م، بيروت، لبنان.

٤٨. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن احمد بن عثمان الذهبي( ت٧٤٨هـ)،تقديم ، محمد عوامة، نشر دار القبلة للثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، مؤسسة علوم القرآن، جدة، السعودية.

٤٩. كامل الزيارات، كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه(ت ٤٦٧)، تحقيق الشيخ جواد القيومي، نشر مؤسسة نشر الفقاهة، الطبعة الأولى، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، بيروت، لبنان.

٥٠. الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر، أبي المواهب عبد الوهاب بن احمد بن علي التلمساني الشافعي الشعراني( ٩٧٣هـ)، منشورات محمد علي بيضون، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، بيروت، لبنان.

٥١. كتاب أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، سعيد الخوري الشرتوني اللبناني، نشر وطبع منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، ١٤٠٣هـ، قم المقدسة، إيران.

٥٢. كتاب الملهوف على قتلى الطفوف، علي بن موسى بن جعفر بن طاووس

الحسيني(ت٦٦٤هـ)، نشر أنوار الهدى، الطبعة الأولى، مطبعة مهر، ١٤١٧هـ، قم المقدسة ايران.

٥٣. كتاب لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري الرويفعي الأفريقي (ت ٧١١هـ)، اعداد عبد الله علي كبير وآخرون، نشر دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.

٥٤. كشف الغمّة عن جميع الأمّة، أبي المواهب عبد الوهاب بن احمد الشعراني، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٥٥. كفاية الطالب، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي(ت ٩١١هـ)، تحقيق الدكتور محمد خليل هراس، نشر دار الكتب الحديثة،مصر.

٥٦. كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، تصحيح علي أكبر غفاري، نشر انتشارات إسلامية، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ، طهران، إيران.

٥٧. مثالب العرب، لهشام بن الكلبي، تحقيق نجاح الطائي، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، بيروت لبنان.

٥٨. مثير الأحزان٠ و منير سبل الاشجان، جعفر بن محمد بن هبة الله المعروف بأبن نما الحلي من اعلام القرن السابع، تحقيق السيد محمد المعلم، نشر مكتبة الحيدرية، الطبعة الأولى، مطبعة شريعت، ١٤٣٤هـ، قم المقدسة، ايران.

٥٩. المجالس السنية، المجتهد الأكبر السيد محمد الأمين، الطبعة الثانية، ١٩٩٢م سوريا.

٦٠. مجالس المؤمنين، القاضي نور الله المرعشي التستري( ت١٠١٩هـ)،نش دار النشر في العتبة الرضوية المقدسة، مشهد المقدسة، ايران.

٦١. مجلة الموسم، مجلة فصليى مصورة تعنى بالاثار والتراث، صاحبها

ورئيس تحريرها محمد سعيد الطريحي، نشر وطبع المركز الوثائقي لتراث أهل البيت عليهم السلام، المملكة الهولندية، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤م.

٦٢. مجمع البحرين، الشيخ فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥هـ)، تحقيق السيد احمد الحسيني، نشر مكتب النشر الثقافية الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.

٦٣. مجمع الزوائد، الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي المصري(ت ٨٠٧هـ)، تحقيق عبد القادر احمد عطا، نشر محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، بيروت، لبنان.

٦٤. المرأة العظيمة قراءة في حياة السيدة زينب بنت علي عليهما السلام، حسن موسى الصفار، نشر مؤسسة الانتشار العربي، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان.

٦٥. مرقد العقيلة زينب في ميزان الدارسة والتحقيق والتحليل، الشيخ محمد حسنين السابقي، نشر دار الولاء، بيروت، لبنان.

٦٦. مروج الذهب ومعادن الجوهر، تصنيف أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي( ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م، مراجعة كمال حسن مرعي، ج٣، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م، بيروت، لبنان.

٦٧. المزار الكبير، محمد بن المشهدي المزار لمحمد بن المشهدي، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، نشر مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٩هـ، قم المقدسة، ايران.

٦٨. مستدرك الوسائل، حسين النوري الطبرسي (ت١٣٢٠هـ)، نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدسة، إيران.

٦٩. مستدرك على الصحيحين، ابي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم

النيسابوري، دار المعرفة ،الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ، بيروت لبنان.

٧٠. مسند أحمد بن حنبل، احمد بن محمد بن حنبل(ت ٢٤١هـ)،شرح احمد محمد شاكر، دار الحديث للطبع والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م، مصر.

٧١. مع بطلة كربلاء زينب بنت الإمام أمير المؤمنين، الشيخ محمد جواد مغنية، نشر دار التيار الجديد للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الخامسة،١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، بيروت، لبنان.

٧٢. معالي السبطين في أحوال الحسن والحسين صلوات الله عليهما، الشيخ محمد مهدي الحائري المازندراني، نشر انتشارات الشريف الرضي، الجزء الأول، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، قم المقدسة، ايران.

٧٣. المعجم الكبير، أبي القاسم سليمان بن احمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، نشر مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر.

٧٤. المعجم الكبير، الحافظ أبي القاسم سليمان بن احمد الطبراني (توفي٣٦٠هـ)، تحقيق واخراج الأحاديث حمدي عبد المجيد السلفي، نشر ابن تميية، القاهرة، مصر.

٧٥. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية قسم المعاجم والقواميس، نشر مكتبة الشروق الدولية.

٧٦. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، نشر مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٧٧. معجم رجال الحديث، السيد أبو القاسم الخوئي(ت١٤١١هـ)، الطبعة الخامسة، مطبعة الاداب، ١٩٩٢م، النجف الأشرف، العراق.

٧٨. معرفة الصحابة، احمد بن عبد الله بن احمد بن اسحاق بن مهران

الاصبهاني( ٤٣٠هـ)، تحقيق عادل بن يوسف العزازي، نشر دار الوطن للنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، الرياض، السعودية.

٧٩. مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، جمال الدين عبد الله بن يوسف بن احمد ابن هشام الأنصاري ( ت ٧٦١هـ)، تقديم حسن حمد، الجزء الأول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٨٠. مقاتل الطالبيين، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن احمد بن الهيثم الاصفهاني ( ت ٣٥٦هـ)، طبع المطبعة الحيدرية، ١٣٥٣هـ، النجف الأشرف، العراق.

٨١. مقتل الحسين ، أبي مؤيد الموفق بن احمد المكي المعروف بـ(الخوارزمي) (ت٥٦٨هـ)، تحقيق العلامة الشيخ محمد السماوي، نشر وطبع مؤسسة أنوار الهدى، قم المقدسة، إيران.

٨٢. الملحمة الحسينية، الأستاذ مرتضى مطهري، نشر المركز العالمي للدراسات الإسلامية، الطبعة الثالثة،

٨٣. مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، ابن شهر آشوب (ت٥٨٨هـ)، تصحيح وشرح ومقابلة لجنة من أساتذة النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف.

٨٤. المنتخب من ذيل المذيل، عماد الدين أبي جعفر محمد بن أبي القاسم الطبري( ت٣١٠هـ)، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

٨٥. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى،١٩٩٧م، بيروت لبنان.

٨٦. ناسخ التواريخ حياة الإمام سيد الشهداء عليه السلام، ميرزا محمد تقي سبهر،

ترجمة وتحقيق سيد علي جمال اشرف، نشر مدين، قم المقدسة، ايران.

٨٧. نبذة من السياسة الحسينية، الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء(ت١٣٧٣هـ، تحقيق علي جلال باقر الداقوقي، نشر دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م/ ١٤٢٨هـ، بيروت، لبنان.

٨٨. نثر الدرر، أبي سعد منصور بن الحسين الآبي(ت٤٢١هـ)، تقديم وتعليق مصطفى الحجي، نشر وزارة الثقافة ، دمشق، سوريا.

٨٩. وفاة زينب الكبرى ويليه المرقد الزينبي، الشيخ فرج ال عمران القطيفي، منشورات الشريف الرضي، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، قم المقدسة، ايران.

## المحتويات

**الفصل الثاني: شرح خطبة السيدة زينب عليها السَّلام في مجلس يزيد**



**الفصل الثالث: الدور الصمودي والأهداف**

**الفصل الرابع: المسيرة – المشيئة – مواقف عبد الله بن جعفر الطيار**



**الفصل الخامس: قبر السَّيدة زينب عليها السَّلام**